

إبداعات عالمية

العدد

٣١٥

دون كيشوت

(مسرحية)

تأليف : ميخائيل بولجاكوف

ترجمة وتقديم: د. هاشم حمادي

مراجعة : د. شريف شاكر

ديسمبر

١٩٩٨

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. دولة الكويت

العدد

٣١٥

إبداعات عالمية



دون كيشوت

(مسرحية)

تأليف : ميخائيل بولجاكوف

ترجمة وتقديم: د. هاشم حمادي

مراجعة : د. شريف شاكر

سلسلة شهرية تصدر عن

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

إبداعات عالمية

المراسلات :

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص.ب ٢٣٩٩٦ ـ الصفاة. الكويت 13100

صدر العدد الأول في أكتوبر ١٩٦٩

تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

أسسها الأستاذ / أحمد مشاري العدواني

(١٩٢٢ - ١٩٩٠)

دون كيشوت

تـــألـيـف : مـيـخـائـيـل بـولـجـاكـوف

ترجمة وتقديم: د. هــاشــم حــمــادي

مـراجـعـة : د. شـــريــف شـــاكـــر

العنوان الأصلي للمسرحية

ДОН КИХОТ

ПЬЕСА ПО СЕРВАНТЕСУ
В ЧЕТЫРЕХ ДЕЙСТВИЯХ,
оевяти картинах

مقدمة

ثمة قراءات مختلفة لدون كيشوت في المسرح والسينما، بعضها يركز على الجانب المأساوي، وآخر على الجانب الكوميدي، وثالث على الجانب الساخر في شخصية البطل المعروف، لكن بولجاكوف* جمع بين هذه الجوانب الثلاثة في كل واحد، فجاءت شخصية دون كيشوت عنده من نوع جديد، وإن كانت المسرحية مقتبسة عن رواية سيرفانتس الخالدة.

وكما عند سيرفانتس فإن دون كيشوت في مسرحية بولجاكوف يجبرك على التعاطف معه ومشاطرته أفراحه وأتراحه، وما أقل الأولى وأكثر الأخيرة، حتى وأنت تضحك من المقالب التي يدبرها لنفسه تشعر أنك تتألم لما أصابه وتتأثر مما أحاق به.

تقوم المسرحية، كما رواية سيرفانتس، على وصف مغامرات دون كيشوت وتابعه سانشوبانسا، ويا لها من مغامرات! مبارزة الطواحين الهوائية، مطاردة الرهبان، المعركة مع البغالة في الطريق، معركة الخان، البلسم الشافي... إن بولجاكوف لا يفرط بالفكاهة السرفانتيسية، بل يوظفها بنجاح ويقدمها في قالب مسرحي متقن. ويعتبر سانشوبانسا تجسيدا للبطل الشعبي البسيط والطيب القلب، ولأمل الشعب المغلوب على أمره في تحقيق العدالة، والتخلص من ظلم

---

* انظر العددين (٢٧٦ ، ٢٩٥).

الحكام وجورهم. فحين يغادر سانشو، متخليا عن منصب حاكم الجزيرة، يقول له أفراد هذا الشعب: «لقد كنت الأشرف والأفضل من بين جميع المحافظين الذين حكموا هذه الجزيرة».

ونشير هنا إلى أن الفكاهة التي رسم بها بولجاكوف صورة دون كيشوت كانت من ذلك النوع النبيل والسامي الذي لا يسيىء إلى الكرامة، لا بل إنها فكاهة محببة يبدو دون كيشوت في إطارها فارسا جريئا مقداما، تسيطر عليه فكرة الصراع، مهما كانت العواقب، من أجل إحقاق الحق وبسط العدالة. وكم من العبارات الحكيمة والأمثال المعروفة يُنطق بها الكاتب بطله، لكنه في الوقت نفسه يؤكد جنون خيالاته. إن الواقعية والخيال يتعايشان في مسرحية بولجاكوف ويتفاعلان مع بعضهما فيعطيانها نكهة خاصة.

إن الأحداث في مسرحية «دون كيشوت» تدور في أكثر من اتجاه، فالكاتب يحاول رسم لوحة غنية بالتفاصيل لحياة اسبانيا في القرن السادس عشر (الخانات، الرهبان، قصر الدوق، البغالة...)

إن بولجاكوف المسرحي رومانسي وواقعي في وقت واحد. فهو يبين أن حماسة دون كيشوت الفروسية في الصراع من أجل العدل واندفاعه نحو اجتراح المآثر مهما كانت العراقيل، تسمو بدون كيشوت إلى مصاف البطولة، لكن هذه الحماسة الفروسية إياها، وهذا الإيمان المجنون بالخيال الجامح يدخلان في تناقض صارخ مع الواقع.

وبولجاكوف – مثله مثل سيرفانتس – يسخر من فروسية دون كيشوت اللامنطقية، وفي الوقت نفسه يتعاطف مع مآثره الفردية،

ويشاطره أفكاره السامية عن الشرف والعدل، عن العصر الذهبي، عن الدفاع عن البؤساء المهضومة حقوقهم.

«الناس يختارون دروبا مختلفة، بعضهم يرتقي درب الخيلاء وهو يتعثر، وآخر يزحف على درب التزلف الذليل. وثالث يسلك درب الرياء والخداع. فهل أسير في أي من هذه الدروب؟ كلا. بل أسلك درب الفروسية، شديد الانحدار، واحتقر خيرات الدنيا، لكن لا الشرف... لقد دافعت عن الضعفاء الذين ضامهم الأقوياء».

ودون كيشوت بولجاكوف أغنى من نظيره السرفانتسي من حيث الحماسة الرومانسية، ومونولوجاته تكتسب مغزى فلسفيا، وبعدا يمزج بين المثالية والواقعية. ودون كيشوت بولجاكوف لا يستطيع أن يحيا دون حلم بالحياة الأفضل، خارج إطار الحماسة الفروسية، ففي الخاتمة يتضافر الواقع مع التنكر (تنكر المجاز شمشوم كاراسكو في زي فارس، ومبارزته مع دون كيشوت) وتكون الغلبة للواقع، ويسترد دون كيشوت رشده، ويصبح إنسانا عاديا، مثله مثل الآخرين، ولكن هذا التحول يقضي عليه.

الشخصيات

الونسو كيشانو : هو نفسه دون كيشوت اللامانشي.

أنطونيا : ابنة أخته.

قيمة : مديرة بيت دون كيشوت.

سانشو بانسا : تابع دون كيشوت.

بيرو بيريس : قس ريفي، مدرس.

نيقولاس : حلاق ريفي.

الدوتسا لورنيسو : فلاحة.

سامسون كاراسكو : مجاز (الحاصل على البكالوريا) الأكاديمي.

بالوميك ليفشا : صاحب خان.

ماريتورنيس : خادمة في الخان.

البغال

تينوريو ايرنانديس :

بيدرو مارتينيس : نزلاء بالوميك

خادم مارتينيس :

عامل في الخان :

دوق.

دوقة.

رجل الدين في قصر الدوق.

مدير قصر الدوق.

الدكتور آغويبيرو.

دويينيا رودريغيس.

وصيف الدوق.

مربي خنازير.

امرأة.

الشيخ الأول والشيخ الثاني. الراهب الأول والراهب الثاني.

الخادم الأول والخادم الثاني. سائق خيول. حاشية الدوق.

(تدور الأحداث في اسبانيا في نهاية القرن السادس عشر تماما)

الفصل الأول

اللوحة الأولى

(أمسية صيفية. فناء دار دون كيشوت وفيه اسطبل، بئر ومقعد طويل، وله بوابتان: واحدة في عمق المسرح تقود إلى الطريق، وأخرى جانبية تفضي إلى القرية. أضف إلى ذلك محتويات دار دون كيشوت. في غرفة دون كيشوت سرير كبير خلف الستار، كرسي، طاولة، دروع فرسان قديمة، والكثير من الكتب).

نيقولاس : **(يظهر في الفناء، ومعه لوازم الحلاقة)** ياسنيورا قيمة البيت! أليست هنا؟ **(يصعد إلي البيت، ويقرع)** سنيور كيشانو، هل استطيع الدخول؟ سنيور كيشانو!... لا أحد هنا على ما يبدو. **(يدخل غرفة دون كيشوت)** سنيورا ابنة الأخت!... اين اختفوا كلهم يا ترى؟ لكنه طلب حضوري للحلاقة! طيب، سأنتظر. من حسن الحظ انني لست على عجل من أمري. **(يضع طاسة الحلاقة على الطاولة، ويلقي نظرة على دروع الفرسان)** يا سلام! من أين جاء بهذا كله، يا ترى؟ آ، أعرف، لقد انتزعها من السقيفة. غريب الأطوار! **(يجلس، يأخذ كتابا عن الطولة، ويقرأ)** مر – آ – ة الـ – ف – روسية.. مم.. كم هو مولع بهؤلاء الفرسان، ان العقل يقف حائرا...

دون كيشوت : (وراء الكواليس) بيرناردو ديل كارينو! بيرناردو ديل كاربنو!

نيقولاس : أليس هذا صوته؟ أجل. إنه قادم. (يطل من النافذة)

دون كيشوت : (وراء الكواليس) في رونسيفال قام بيرناردو ديل كاربنو العظيم بخنق دون رولدان الولهان...

نيقولاس : (من النافذة) بماذا يخرف؟

دون كيشوت : **(يظهر عبر باب سياج في الجزء الخلفي، يحمل كتابا في إحدى يديه، وسيفا في الأخرى)**. آه، لو قدر لي، أنا الفارس دون كيشوت اللامانشي، عقابا على ذنوبي القاتلة، أو ثوابا على ما عملت من خير في حياتي، أن ألتقي أخيرا بذلك الذي أبحث عنه! آه...

نيقولاس : مــاذا حل بدون كيشوت؟ هيـــه، يبـــدو أنه ليس على ما يرام!

دون كيشوت : نعم، لو قدر لي أن التقي بعدوي براندا بارياران العملاق الذي يرتدي جلد أفعى...

نيقولاس : براندابار... هل جن نبيلنا نهائيا؟!

دون كيشوت : ... إذن لحذوت حذو بيرناردو. فرفعت العملاق، ثم خنقته في الجو! **(يرمي بالكتاب، ثم بدأ يضرب الهواء بسيفه)**.

نيقولاس : يا للسماوات العادلة!

(دون كيشوت يصعد إلى البيت، نيقولاس يختبىء خلف دروع الفرسان والخوذ)

دون كيشوت : أما من أحد هنا؟ ... من هنا؟

نيقولاس : هذا أنا، ياعزيزي سنيور كيشانو، هذا أنا...

دون كيشوت : آ، أخيرا حالفني الحظ والتقيت بك يا عدوي اللدود. اخرج إلى هنا، ولا تختبىء في الظل.

نيقولاس : كن رؤوفا، يا سنيور كيشانو، ماذا تقول؟ أي عدو أنا لك؟!

دون كيشوت : لاتتظاهر، فسحرك لا يجدي معي نفعاً، لقد عرفتك فأنت فريستون الساحر الداهية.

نيقولاس : ثب إلى رشدك يا سنيور الونسو، أتوسل إليك. تمعن في ملامح وجهي، لست بساحر، إنني نيقولاس الحلاق، صديقك المخلص وعرّابك.

دون كيشوت : كذاب!

نيقولاس : عفوا.

دون كيشوت : اخرج ونازلني .

نيقولاس : أوه، يا لمصيبتي، فهو لا يصغي إلي. تعقل، ياسنيور الونسو! فأمامك روح مسيحية، ولست ساحراً أبداً.
اترك سيفك الرهيب يا سنيور.

دون كيشوت : خذ سلاحك واخرج .

نيقولاس : يا ملاكي الحافظ، ساعدني!.. **(يقفز من النافذة، ويجري هارباً عبر باب سياج جانبي.. دون كيشوت يهدأ، يجلس، يفتح الكتاب. أحدهم يمر خلف السياج، يتردد رنين الأوتار، وينشد صوت باص ثقيل).**

آه، جمالك، بلا جدال،

أبهى من النهار المشمس

أين أنت، يا سنيورتي؟

أم أنك أسلمتني للنسيان؟

ألدونسا : **(تدخل الفناء وفي يديها سلة)** سنيورا قيمة البيت، يا سنيورا قيمة البيت!..

دون كيشوت : صوت من أسمع؟ هل عاد الساحر إلى إزعاجي؟.. إنها هي.

ألدونسا : هل أنت في البيت، يا سنيورا قيمة البيت؟ **(تترك**

سلتها في الأسفل، تصعد إلى البيت، ثم تدق الباب).

دون كيشوت : أهي التي تدق؟ كلا، كلا، إن قلبي هو الذي يدق.

الدونسا : (تدخل) آه، عدم المؤاخذة، أيها السنيور المبجل، لم أكن أعرف أنك هنا.

أنا الدونسا لورينسو. أليست قيمتكم في البيت؟ لقد جلبت لحم الخنزير الملح، وتركته لها في المطبخ.

دون كيشوت : لقد ظهرت في الوقت المناسب يا سنيورا. أنا أجهز نفسي للسفر للقاء المارد كاراكوليا مبرو حاكم جزيرة ماميندرانيا. أريد الانتصار عليه وإرساله لك كي يركع على ركبتيه أمامك، ويطلب منك أن يكون رهن إشارتك.

الدونسا : آه، يا سيدي، ما هذا الذي تقول؟ ارحمنا، يا رب!

دون كيشوت : أريد أن يحدثك كيف جرى صدامه مع دون كيشوت اللامانشي.. ليكن في علمك، يا ظالمة، أن دون كيشوت هذا أمامك.

الدونسا : لماذا ركعت على ركبتيك، يا سنيور كيشانو؟! الواقع انني لا أعرف ماذا أفعل...

دون كيشوت : سوف يروي لك كاراكوليا مبرو كيف تم الأمر. لقد حدث ذلك على النحو التالي...

(يتناول الكتاب، ويبدأ القراءة) لم يكد أبو لوّن،
أحمر الخدين ينثر في الأرض خيوط شعره الذهبي،
وتنهض أورورا ذهبية العرش من فراش زوجها
الغيور...

الدونسا : توقف يا سنيور أرجوك. فأنا فتاة بسيطة،
ولا يناسبني سماع مثل هذا الكلام.

دون كيشوت : (يقرأ) في هذا الوقت امتطى دون بيليانيس صهوة
حصانه، وانطلق....

(يأخذ سيفه)

الدونسا : يجب أن أخبر قيمة البيت بسرعة... (تختفي بهدوء)

دون كيشوت : لسوف استبدل اسم دون كيشوت باسم بيليانيس...
انطلق دون كيشوت للقاء المخاطر والعذاب، وكل فكره
معلق بك يا مليكتي، يا دولسينيا من توبوس! (يتلفت)
اختفت! انطفأ الشعاع المتألق! اذن فقد كان ذلك حلما؟
لماذا؟ لماذا غادرتني بعد أن أغويتني؟ من اختطفك؟ لقد
عدت وحيدا، وعادت الظلال السحرية الكئيبة تحيط
بي. اغربي! فلست أخافك. (يضرب الهواء بسيفه، ثم
يهدأ، ويتناول الكتاب، يجلس، يقرأ، وهو يتمتم
بشيء ما).

(الغسق. من خلف السياج يسمع صفير مبهم هادىء. من فوق السياج يظهر رأس سانشوبانسا. يصفر سانشو من جديد، ومن ثم يختفي رأسه. يدخل سانشو الحوش، وهو يقود حماره الرمادي وعليه بردعة وخرجٌ. يربط سانشو الحمار، ثم يتلفت بقلق، يرتقي درجات السلم، ثم يدخل غرفة دون كيشوت، بعد أن يصفر من جديد)

سانشو : سيدي ...

دون كيشوت : آه، لقد ظهرت من جديد، أيها الساحر العنيد؟ لكنك لن تهرب هذه المرة، استسلم!

سانشو : **(بعد أن يركع على ركبتيه)** استسلم.

دون كيشوت : **(وقد وضع ذؤابة السيف على جبين سانشو)** أخيرا أنت تحت رحمتي، أيها الساحر الحقير...

سانشو : سنيور! امسح عينيك قبل أن تفقأ عيني. فأنا استسلم، استسلم مرتين وثلاثا. استسلم بشكل نهائي لا رجعة فيه، مرة وإلى الأبد. هلا تمعنت في أخيرا أنا الخاطىء! أي ساحر أنا بحق الشيطان؟ إنما أنا سانشو بانسا!

دون كيشوت : ما معنى هذا؟ هذا الصوت مألوف لدي، ألست بكاذب؟ هل هذا أنت فعلا يا صديقي؟

سانشو : أنا سنيور، أنا!

دون كيشوت : ولماذا لم تعطني الإشارة المتفق عليها؟

سانشو : لقد أعطيت الإشارة ثلاث مرات، يا سيدي، لكن الساحر اللعين سد لك أذنيك. لقد صفرت، يا سيدي!

دون كيشوت : لم يكن بينك وبين الهلاك إلا شعرة! حسناً فعلت باستسلامك. لقد تصرفت، يا سانشو كما الحكيم الذي يدرك أن المقدام يحافظ على نفسه في الوضع العصيب من أجل فرصة أفضل.

سانشو : لقد حزرت فوراً أنه يجب أن استسلم بمجرد أنك أشهرت سيفك في عيني، فليكن معلونا!

دون كيشوت : أنت على صواب. لكن قل لي، يا صديقي، هل سبق أن قرأت عن فارس يبزني بسالة؟

سانشو : كلا، يا سيدي، لم يسبق لي أن قرأت، لأنني لا أجيد القراءة ولاالكتابة.

دون كيشوت : طيب، اجلس، ودعنا نتفق نهائيا على كل شيء، مادمنا وحدنا في البيت. وهكذا، فأنت تقبل عرضي بأن تصبح تابعي، وترافقني في تطوافي حول العالم؟

سانشو : أقبل، يا سنيور، لأنني آمل أن تبر بوعدك، فتجعل مني محافظ الجزيرة التي تنوي فتحها.

دون كيشوت : لا يخامرك الشك أبدا فيما يقوله لك فارس. فقد عين الفرسان بعض تابعيهم حكاماً على ممالك بكاملها، مكافأة على إخلاصهم في الخدمة. وأنا آمل في فتح مثل هذه المملكة في القريب العاجل. ولما كنت أنا نفسي لا احتاج إليها فإنني سأهديها لك، ستصبح ملكا يا سانشو.

سانشو : ام... يجب أن أفكر بهذا كثيرا جداً...

دون كيشوت : ما الذي يزعجك؟

سانشو : زوجتي، خوانا تيريسا، فأنا أخشى، يا صاحب السعادة، ألاّ يناسب التاج الملكي رأسها. يكفيها أن تصبح محافظة بسيطة، وإن شاء الله تكون قادرة على القيام حتى بهذا.

دون كيشوت : اتكل في كل شيء، يا سانشو، على العناية الالهية، ولاتذل نفسك أبدا، ولا ترغب لنفسك بأقل مما أنت به جدير.

سانشو : على العموم لا داعي لأن تجعل مني ملكا، لكنني موافق على أن أصبح محافظاً.

دون كيشوت : رائع. الآن اتفقنا على كل شيء، إنه الوقت المناسب لأن نسافر سرا، مادام الجميع غائبين.

سانشو : هذا صحيح، يا سيدي، وإلا فإن قيمة بيتك... أقول لك بصراحة انها امرأة، وأية امرأة.. إنني أخافها كما أخاف النار.

دون كيشوت : ساعدني في ارتداء الدرع والخوذة.

(سانشو يساعد دون كيشوت في ارتداء الدرع والخوذة)

انظر أية خوذة صنعت بجهودي؟

سانشو : أخاف قليلا يا سيد، فهل هي متينة بما فيه الكفاية؟

دون كيشوت : آه، يا لك من قليل الثقة! هيا بنا نجربها. ضعها على رأسك، وسأوجه لك أقوى طعنة استطيع توجيهها، ولسوف ترى مدى متانتها.

سانشو : حاضر، يا صاحب المعالي. **(يضع الخوذة)**

(دون كيشوت يتناول السيف) توقف، يا سيدي! فجأة تملكني حدس سيىء. دعنا نجربها على الطاولة، هذا أفضل. **(يضع الخوذة على الطاولة)**

دون كيشوت : إن جبنك يضحكني. انظر! **(يضرب الخوذة بالسيف فيحطمها)**

سانشو : اشكرك، أيتها السماء، لأن رأسي لم تكن داخلها!

دون كيشوت : آه!.. آه!.. هذه المصيبة فادحة! من دون خوذة يستحيل السفر.

سانشو : الأفضل، يا سيدي، أن تسافر من دون خوذة على أن تسافر بمثل هذه الخوذة.

دون كيشوت : ماذا يجب أن تفعل؟ آه، كم أنا حزين! آه، يا سانشو. انظر! (**يشير إلى طاسة الحلاقة**) ليس عبثا يقال إن القدر إذا ما أغلق الباب في وجه أحد فإن بابا آخر ينفتح حالا. يا للسعادة! فقد نسي فريستون الجبان في غمرة هربه خوذته.

سانشو : لكن هذه طاسة الحلاقة، يا سنيور، وإلا لما كنت ابن أبي!

دون كيشوت : لقد ألقى السحر غمامة على عينيك. انظر واقتنع! (**يضع الطاسة على رأسه**) إنها خوذة الملك مامبرينو الساراتسيني.(*)

سانشو : إنها تشبه طاسة الحلاقة تماماً.

دون كيشوت : أعمى!

---

* من اللاتينية Caraseni اسم كان يطلق في أوروبا على العرب وغيرهم من شعوب الشرق الأوسط. (المترجم)

سانشو : كما تريد يا صاحب المعالي.

دون كيشوت : ها قد أصبح كل شيء جاهزا. لم يعد أمامك الونسو كيشانو الفارس المسالم الذي لقب بالطيب! إنني أمنح نفسي اسما جديداً : دون كيشوت اللامانشي.

سانشو : حاضر يا سيدي.

دون كيشوت : لما كان الفارس الذي لا حبيبة له كالشجرة من دون أوراق، فإنني اختار سيدة قلبي أروع حسناء في العالم، وهي الأميرة دولسينيا من توبوس. لابد أنك كنت تعرفها باسم الدونسا لورينسو.

سانشو : كيف لا أعرفها، يا سنيور. لكن عبثا تلقبها بالأميرة، فهي فلاحة بسيطة. صبية رائعة، يا سنيور، وهي معافاة لدرجة أنه من الممتع النظر إليها . ان بوسعها أن تجر أي فارس من لحيته بلمح البصر.

دون كيشوت : اسكت، أيها الثرثار الذي لا يطاق. فلتكن دولسينيا في ناظريك فلاحة لا سيدة نبيلة. المهم أنها بالنسبة لي أطهر وأفضل وأروع من جميع الأميرات. آه، يا سانشو إنني أحبها، وهذا كاف لأن تخجل ديانا . إنني أحبها وهذا يعني أنها في عيني بيضاء كما الثلج يتساقط، وأن جبينها كما حقول يليسي(*)، أما

---

* في الميثالورجيا اليونانية المكان الذي ينعم فيه المقربون إلا الآلهة. (المترجم)

الحاجبان فقوسا قزح سماويان. يا لك من تابع قصير النظر! إن الشاعر والفارس يتغنى بتلك التي لم تخلق من لحم ودم، بل بتلك التي أبدعها خياله الذي لا يكل ويكن لها كل الحب! إنني أحبها بالشكل الذي ظهرت لي فيه في الأحلام. إنني، يا سانشو، أحب مثلي الأعلى، هل فهمت؟ هل فهمتني أخيرا؟ أم أنك لا تعرف كلمة «مثل أعلى»؟

سانشو : هذه الكلمة لا أعرفها، لكنني فهمتك يا سنيور. الآن أرى أنك محق، وأنني حمار. نعم إنك على حق يا فارس الهيئة الحزينة!

دون كيشوت : ماذا؟ ماذا قلت؟

سانشو : لقد قلت فارس الهيئة الحزينة، فلا تغضب مني يا سيدي.

دون كيشوت : لماذا نطقت بهذه الكلمات؟

سانشو : الآن رحت أتأملك في ضوء القمر فكان وجهك حزينا بشكل لم أر له مثيلا من قبل. لعلك قد تعبت في المعارك، أم لعل ذلك حدث بسبب عدم وجود عدة أسنان لديك من اليمين والأمام. فمن كسرها لك يا سنيور؟

دون كيشوت : هذا ليس جوهريا! المهم أن الحكمة هبطت فجأة، ووضعت هذه الكلمات على شفتيك. وليكن في علمك أنني منذ هذه اللحظة سوف أطلق ذلك على نفسي، وآمر برسم هيئة حزينة على ترسي.

سانشو : ما الداعي لإنفاق النقود على ذلك يا سنيور؟ يكفي أن تكشف وجهك حتى يدرك من يقف أمامه.

دون كيشوت : هيه! إن مظهرك البليد جدا يخفي تحته إنسانا لاذعا! طيب فلأكن فارس الهيئة الحزينة. إنني أتقبل هذا اللقب بكل اعتزاز، لكن هذا الفارس الحزين ولد من أجل تحويل عصرنا الحديدي البائس إلى عصر ذهبي! إنني أنا ذلك المحكوم بالمخاطر والمصائب، وبالمآثر العظمى أيضاً. فلننطلق إلى الأمام يا سانشو، ولنبعث فرسان المائدة المستديرة الأمجاد أحياء. لنطف العالم، لكي نثأر للضيم الذي يلحقه الأقوياء الكاسرون بالضعفاء والمغلوبين على أمرهم، لكي نقاتل دفاعا عن الشرف المثلوم، لكي نعيد للعالم ما فقده إلى غير رجعة.. اعني العدل.

سانشو : آه، أيها السنيور الفارس، لو أن هذا كله يتحقق! فكم من مرة سمعت أن الناس يذهبون لجز النعاج، فيعودون وقد جزوا أنفسهم.

دون كيشوت : كلا، لاتريك روحي بأمثالك. لست أريد أن تعذبني الشكوك! لنسرع، يا سانشو، قبل أن يعود أهل البيت.

(يخرجان إلى فناء الدار)

الآن سترى حصاني، إنه يضاهي بوتسيفال الذي كان يمتطيه الاسكندر المقدوني **(يفتح باب الاسطبل)** لقد اطلقت عليه اسم روسينانتي.

سانشو : **(بعد أن تأمل روسينانتي)** ومن كان هذا المقدوني يا سيدي؟

دون كيشوت : سوف أحدثك عنه ونحن في الطريق. فلنسرع. لكن عفوا، ماذا ستمتطي أنت؟

سانشو : حماري، يا سيدي.

دون كيشوت : ايه. لم يحدث لي أن قرأت أن التابعين يمتطون الحمير...

سانشو : حمار قوي رائع، يا سيدي...

دون كيشوت : طيب فليكن، هيا بنا. وداعا، يا قريتي الوادعة الحبيبة، وداعا! إلى الأمام يا سانشو. القمر ينير دربنا، ولن يأتي الصباح حتى نكون بعيدين جدا. إلى الأمام!

سانشو : إلى الأمام! يا الله!..

(يرحلان)

اللوحة الثانية

(صباح صيفي. تقاطع طرق. الغابة من جهة والسهل من جهة أخرى. يبدو جناح طاحونة هوائية. دون كيشوت وسانشو يتوقفان عن السير)

دون كيشوت : ها نحن بلغنا تقاطع الطرق يا سانشو. إنني على ثقة أننا سنغرف من بحيرة المغامرات هنا ملء أكفنا.

(ينظر إلى البعيد)

(سانشو ينزل عن الحمار، ويعقله خارج الطريق)

إن القدر يرأف بنا. انظر، إلى هناك، يا سانشو!

سانشو : لست أرى شيئا يا سنيور.

دون كيشوت : هل يعقل أنك أصبحت أعمى؟ لماذا لا تعقد لسانك الدهشة؟ إن أمامك صفا من العمالقة ذوي الأيدي الهزيلة البالغة الطول.

سانشو : عفوا، يا سنيور، لكنها طواحين هوائية.

دون كيشوت : كم أنت جاهل في المغامرات الفروسية. إنهم سحرة أشرار عمالقة، ولن أتوانى عن خوض المعركة معهم. لسوف أفني هذا الجنس الشرير عن بكرة أبيه!

(الطواحين تبدأ في تحريك أجنحتها)

لن تخيفوني، وإن كان لديكم من الأيدي أكثر مما لدى العملاق برياري! لاتهربوا أيتها المخلوقات الدنيئة! يقف ضدكم فارس واحد، ولكنه وحده يساويكم جميعاً!

سانشو : عد إلى رشك، يا سيدي، ماذا تنوي أن تفعل؟

دون كيشوت : آ، هل استولى عليك الخوف؟ طيب، ابق هنا تحت الشجرات، واتل الصلوات! إلى الأمام من أجل دولسينيا قاهرة قلبي، الحسناء القاسية. **(يهز روسينانتي وينطلق)**

سانشو : توقف، يا سنيور، إلى أين أنت، يا سنيور؟ **(يركع على ركبتيه)** ياإلهي، يا إلهي! ما هذا الذي يفعله سيدي؟ يا قوي السموات لقد انقض على الجناح بحربته! سنيور! قف. ها قد جره، لقد جره!.. يا إلهي، ارأف بنا نحن المذنبين! **(ضربة ثقيلة خلف الخشبة. على الخشبة تتدحرج طاسة الحلاقة، ومن ثم تتناثر قطع الحربة، ثم يسقط دون كيشوت، ويبقى راقدا دون حراك)**

كنت أعرف... رحمة الله عليه! كم انتهت مغامراتنا بسرعة. آه، تصوروا، مساء البارحة ارتحلنا ونحن في كامل العافية والنشاط، مفعمين بالآمال، ولم أتمكن من

سماع قصة حصان اسكندر المقدوني الرائع، حتى انتقل سيدي المحترم إلى العالم الآخر، وقد تكسرت أضلاعه! ايه، ايه، ايه! **(يأخذ البردعة عن ظهر الحمار، ثم يجلس بجوار دون كيشوت، يشرب الخمر)** كيف أنقله إلى البيت؟ سأضطر لوضعه على السرج بالعرض.. لكن بعرض أي سرج؟ (ينظر إلى البعيد) يااللحصان المسكين، إنه يرقد دون حراك كما كيس الشوفان. سأضطر لوضعه على الحمار. لم يسبق لك، يا صديقي المسكين، أن حملت مثل الحمل المحزن.

(دون كيشوت يئن)

من أنّ هنا؟ ليس بمقدور سيدي أن يئن، فهو ميت. لعلني أنا من أنّ من الحزن؟ **(يشرب الخمر)**

دون كيشوت : **(بصوت ضعيف)** سانشو...

سانشو : ماذا أسمع؟ أأنت حي يا سنيور؟

دون كيشوت : ما دمت أصدر صوتا فأنا حي.

سانشو : شكرا للسماء يا سنيور. أما أنا فقد عزمت على نقلك إلى القرية، حيث ندفنك بالتكريم الذي تستحق. وكنت أتعذب بيأس حين تخطر لي فكرة ماذا ستقول لي قيمة

البيت. اشرب ياسنيور!.. ايه سيدي، سيدي، لقد حذرتك مسبقا أن هذه طواحين!

دون كيشوت : لا تناقش أبدا ما ليس لك به علم يا سانشو، وليكن في علمك أن أعمال السحرة وتحولاتهم بانتظارنا باستمرار. يا للحكيم اللعين، إنه فريستون المكروه، فلم تكد حربتي تخترق يد المارد الأول حتى عمد على جناح السرعة إلى تحويلهم جميعا إلى طواحين، كي ينتزع مني حلاوة النصر. فريستون، فريستون إلام سيلاحقني كرهك وحسدك؟.. احضر لي حصاني.

سانشو : حتى فريستون نفسه غير قادر على ذلك يا سنيور. فالحيوان المسكين يرقد دون حراك. الشيء الأفضل أن ندع الحصان راقداً بعض الوقت، وإذا ما شاءت العناية الإلهية فسينهض بنفسه، وإلا فإن عنايتنا به ستقتصر على شيء واحد : القيام بسلخ جلده القديم، وبيعه في أول بازار.

ايه، يا سيدي!

دون كيشوت : هات حربتي.

سانشو : لم يعد لهذه الحربة فائدة، يا صاحب المعالي. **(يناول دون كيشوت قطع الحربة)**

دون كيشوت : آه، هذه خسارة كبيرة! ماذا بوسع الفارس أن يفعل من دون حربة؟ على أي حال، لن نتذمر. فأنت قرأت ولاشك...

سانشو : آه، يا سيدي، لكن سبق وقلت لك...

دون كيشوت : آه، نعم، فلم تكن تستطيع القراءة.

سانشو : لم أكن استطيع، يا سيدي، لم أكن استطيع.

دون كيشوت : طيب سأقول لك ان الفارس المقدام دون دييغو بيرس ده فارغاس، حين فقد سلاحه في المعركة، كسر غصنا هائلا من شجرة بلوط، وفي اليوم نفسه قتل به من المغاربة الكثير حتى إن جثثهم كانت ترقد كما الأخشاب في الباحة السوداء.

سانشو : ما اسمه، يا سيدي؟

دون كيشوت : دون دييغو بيرس ده فارغاس. هات لي غصنا، يا سانشو، وليكن ضخما.

سانشو : حاضر، يا سنيور **(يذهب، ثم يعود ومعه غصن هائل الحجم، يضع نهاية الحربة في طرفه)** هاك حربة جديدة. أتمنى لك أن تطعن من المغاربة لأقل مما طعن... ايه. لقد انسل من ذاكرتي، إنه اسم جميل.

دون كيشوت : دون دييغو بيرس ده فارغاس. لم يكن وحده الذي قتل المغاربة، يا سانشو. فرودريغو النار فائيسي المقدام، قائد قلعة انتيكر، أسر السنيور المغربي ابن دارايس في اللحظة نفسها التي كان فيها يطلق صيحة الحرب المخيفة : «ليليليس!».

سانشو : لقد أصبحت مائلا جدا على جنبك، يا سيدي.

دون كيشوت : نعم، يا صديقي، إن الألم الرهيب يعذبني، وأنا لا أشكو منه لأن هذا محظور على الفرسان.

سانشو : إذا كان هذا محظوراً عليك، فلا مناص من السكوت. لكن عن نفسي أقول، يا سيدي، إنني سوف أئن وأشكو، إذا ما حدث لي شيء ما من قبيل ماجرى لك. أم لعل حظر الشكوى يسري على التابعين أيضاً؟

دون كيشوت : كلا، فلا يوجد في النظام الداخلي للأخوية(*) كلمة واحدة بهذا الخصوص.

سانشو : إنني مسرور جدا بهذا.

دون كيشوت : مهلاً، مهلاً . إنني أرى الغبار على الدرب. نعم إن هذا المكان لايعوّض للمغامرات! إن علي أن أحذرك،

* Ordivis تنظيم رهباني كاثوليكي له نظامه الخاص. (المترجم)

يا سانشو، انه مهما دفعتك حماستك، لايجوز لك أن تستخدم حسامك مهما كان الخطر الذي يتهددني، فقط في حال تعرضي لهجوم من قبل أناس من مرتبتك.

سانشو : لن تضطر إلى تكرار هذا الايعاز مرتين، يا سيدي.

دون كيشوت : انظر إلى هناك! لقد كنت مصيباً. إنك ترى شخصين أسودين مقنعين قادمين، وهناك عربة بعيدة من ورائهما. كل شيء واضح. هذان ساحران، وفي العربة الأميرة التي اختطفاها!

سانشو : انصحك بالتروي قليلا، يا سنيور! فهذان في الزي الأسود راهبان، ومن خلفهما خدمهما، ولا وجود للسحرة.

دون كيشوت : إنك قصير النظر، أو أنك أعمى تماماً.

سانشو : سيكون هذا الأمر، يا سيدي، أسوأ مما جرى مع الطواحين الهوائية.

دون كيشوت : لاتضايقني. مهمتك أن تراقب سير المعركة، ومن ثم تستولي على الغنيمة الغالية، التي ستكون من نصيبنا.

(يبدو الراهبان)

قفا. أيها الشيطانان الأسودان!

(سانشو يختبىء خلف الشجرة)

قفا. إنني أطالب بإعادة الحرية فوراً إلى هذه السيدة في العربة. لقد أسرتما المسكينة بالخداع.

الراهب الأول : ماذا تقصد؟ لسنا نفهم شيئا، أيها السيد، أية سيدة؟ نحن بنديكتيون(*) نسير في دربنا، ولا علاقة لنا البتة بهذه العربة، ثم إنها سلكت دربا آخر تماما.

دون كيشوت : لا أصدق كلامكما المخادع.

الراهب الأول : إنك، أيها السيد، لفي ضلال غريب...

دون كيشوت : اخرس!

سانشو : **(خلف الشجرة)** اخرس!

دون كيشوت : الآن ستتذوقان، أيها الماكران، قوة حسامي. **(يمتشق سيفه)**

الراهب الأول : ساعدونا! أيها الخدم! النجدة! هنا قطاع طرق! **(يفر هارباً)**.

الراهب الثاني : النجدة!

---

* نسبة إلى بنديكتس أو مبارك Benoit مؤسس رهبانية البنديكتيين في جبل كلسينو في إيطاليا. (المترجم)

دون كيشوت : **(وهو يركض في إثر الراهب الأول)** توقف، أيها الحقير! أنت لي، لقد هزمتك!

سانشو : **(يطلق صفرة ثاقبة، يندفع من خلف الشجرة، وينطلق باتجاه الراهب الثاني)** ليليليس! لقد هزمتك، أنت لي!

الراهب الثاني : **(وهو يسقط على ركبتيه)** احميني، أيتها السماء!

سانشو : انزع ثيابك، يا بيريس ده فارغاس اللعين! **(ينزع عن الراهب القبعة والقناع)**.

الراهب الثاني : خذ كل شيء، لكن اترك لي الحياة.

(يعطي الثياب لسانشو)

(في هذا الوقت يندفع خادمان عدوا)

احميني! **(يفر هاربا)**

الخادم الأول : ما هذا الذي تفعله، يا قاطع الطريق اللعين، على الطريق الرئيسية؟!

الخادم الثاني : حرامي!

سانشو : يا الله. يا الله. يا الله، ابتعدوا عني، يا عزيزيّ. هذا ليس من شأنكما. هذه غنيمتي.نحن من انتصر على الساحرين لا أنتما!

الخادم الثاني : يا لك من متشرد وقح!

الخادم الأول : اضربه!

(الخادمان ينقضان على سانشو بالعصي)

سانشو : ماذا بكما؟ هل جننتما؟ النجدة، يا سنيور.

ينتزعون الغنيمة من تابعك!

الخادم الثاني : هاك! **(يتشبث بلحية سانشو)**

(الخادمان يضربان سانشو دون شفقة)

سانشو : سنيور!.. سنيور!.. سنيور!.. ليليليس!.. **(يقع، ويبقى دون حراك)**

الخادم الثاني : سوف تعرف كيف تعرّي المارة!

(الخادمان يفران ومعهما ثياب الراهب)

دون كيشوت : **(يدخل راكضا)** لقد هرب الحقير كما الأرنب في الحقل!.. ماذا بك؟ يا إلهي! إنه ميت! ماذا أفعل الآن؟

سانشو : أوه...

دون كيشوت : هل أنت حي؟

سانشو : مادمت أصدر صوتا فهذا يعني أنني حي.. ولكن، في مرة أخرى...

دون كيشوت : آه، يا للذاكرة اللعينة! لو لم أنس قبل السفر تحضير زجاجة من بلسم فيرابرا، إذاً لما خشينا أي نوع من الجروح.

سانشو : وما هذا البلسم يا سيدي؟

دون كيشوت : إنه دواء ذو مفعول سحري يا سانشو. إذا صدف ورأيت أنهم قطعوني في المعركة نصفين - غالبا ما يحدث هذا للفرسان المتجولين - فلا ترتبك. خذ كلا النصفين، وضعهما متلاصقين، لكن بشكل دقيق، واعطني جرعتين من هذا البلسم. وسترى أنني للتو سأنهض على قدمي، وأصبح نضرا ومعافى كما التفاحة. هكذا هو هذا الدواء يا سانشو.

سانشو : لست بحاجة، يا سيدي، إلى منصب محافظ الجزيرة الذي تفضلت ووعدتني به. زودني بوصفة هذا البلسم فقط.

دون كيشوت : لا تقلق، يا صديقي، لسوف أطلعك على أسرار أعجب، وأنعم عليك مدى الحياة.

سانشو : في هذه الحالة أنا سعيد، يا سنيور، انني سافرت معك... حتى إن ألمي بدأ يخف على ما يبدو... (**يفتح الخرج، ويتناول الطعام**) علينا تناول الطعام، ياسيدي. وبشكل عام فأنت لن تتناول طعامي البسيط.

دون كيشوت : إن لديك تصورا خاطئا عن الفرسان، ياصديقي. فالفرسان لم يأكلوا بشكل جيد إلا في المآدب الاحتفالية التي كانت تقام على شرفهم، أما في الأوقات العادية، أي أثناء الترحال، فقد كانوا يأكلون ما يتيسر لهم، وفي أغلب الحالات - للأسف - الأزهار والأحلام.

سانشو : لا أزهار معي، يا سيدي، بل عندي خبز وثوم وجبن وثمار البلوط، أما ما أحلم به فهو شيء واحد هو الحصول على وصفة بلسمك. كل يا سيدي.

دون كيشوت : اجلس بدورك، ما بالك واقف، يا صديقي؟ بماذا تفكر؟

سانشو : إنني أفكر كيف تأكل - أنت الفارس - طعامي البسيط؟

دون كيشوت : أما أنا فأفكر بشيء آخر. ها أنت قلت! طعامي. انني أفكر بذلك العصر، الذي لم تكن هذه الكلمات موجودة فيه : لي، لك. حينما كان الناس يجلسون بوئام، كما أنا وأنت الآن على العشب الأخضر، ويتقاسمون بسخاء ماأرسلته لهم الطبيعة الخيرة المعطاءة. ثم ماذا كان بوسع الناس الذين يرعون قطعانهم، أن يخبئوا عن بعضهم؟ فالينابيع الصافية كانت تعطيهم الماء،

والأشجار تعطيهم الثمار. لم يكن ثمة الذهب الذي أنجب الكذب والخداع والكراهية والطمع، وعلى الرغم من عدم وجوده فقد كان هذا العصر، ياسانشو، يعرف بالعصر الذهبي، وهكذا فإن حلم الفارس المتجول يكمن، كما سبق وقلت لك، في بعث هذا القرن الساطع! آه، يا سانشو، لو لم تحل علي السعادة المقلقة في أن أصبح فارساً، إذن لتمنيت أن أكون راعيا، ولأطلقت على نفسي اسم كيشوتيس وعليك بانسينو، ولرحنا نطوف الجبال والمروج، تارة ننشد الرومانسات، وأخرى نتنهد من كمال الروح. ولأنقذتنا أوراق البلوط الكثة من الشمس الحارقة نهاراً، ولأضاءت لنا النجوم الوديعة ليلا. آه، هل يعقل أنك لا تفهم أن الإنسان يمكن أن يعثر على السعادة الحقة في هذه الحياة، وأن هذه قسمته الأفضل؟

سانشو : إنك انسان عالم، يا سنيور، وتعرف الكثير من الطرائف. فما ان تبدأ الرواية حتى يمكن الإصغاء إليك بآذان مرهفة لعدة ساعات. لكن أطرف شيء هو البلسم. لعلك على كل حال تذكر لي الوصفة الآن، وإلا من يدري، ففي أثناء المغامرات قد تنسى...

دون كيشوت : أما أنا فقد اعتقدت أنك تفكر بالعصر الذهبي. اصبر. فما أن نصل إلى مكان ما، تحت سقف حتى أجهز

البلسم، واكشف لك سره **(أصوات رجال تسمع من بعيد. ثمة من يصفر لحن أغنية)**

من هناك؟

سانشو : **(وهو يمعن النظر)** إنهـا مجموعـة من البغّالـة، يا سنيور، من منطقة يانغوس. يا لهم من شباب شطار هؤلاء اليانغوس، ويا لهم من ودودين، ياسيدي! اعتقد أنهم عائدون من السوق.

(قهقهة تسمع من بعيد)

دون كيشوت : ما الذي أثار ضحكهم؟

سانشو : لقد ضرب أحدهم روسينانتي، وهم يضحكون منه ياسنيور.

دون كيشوت : ماذا قلت؟ هل تجرأ الوقح على مس حصان الفرسان؟ أقسم أنه لن يهدأ لي بال حتى ألقن هذه المجموعة من الوقحين درساً لا ينسى!

سانشو : عفوا، يا سيدي، وكيف نلقنهم إذا كان عددهم عشرين على الأقل، بينما نحن اثنان فقط، أو واحد ونصف على الأصح!

دون كيشوت : هل نسيت أنني وحدي أساوي أكثر من مئة شخص من الأعداء.

(يدخل ثلاثة بغّالة)

كن أكثر جرأة، يا سانشو، وتحداهم.

سانشو : **(للبغّال الأول)** لماذا ضربت حصان الغير؟

البغال الأول : أي حصان تقصد؟

سانشو : لا تتظاهر بالغباء.

البغال الثاني : آه، هذا! ذلك الذي يرقد رافعاً أطرافه؟ أما نحن فقد اعتقدنا أنه هيكل عظمي لا حصان.

(يدخل السائق الرابع)

دون كيشوت : هل تجرؤ، أيها اللعين، على السخرية من حصان أشهر فارس في العالم؟

سانشو : نعم، أيها اللعين، إنني أتحداك، هل تجرؤ؟

البغال الثاني : نعم أجرؤ.

سانشو : أو تجرؤ؟

البغالة : نجرؤ.

(يدخل البغال الخامس)

سانشو : إذن خذ. **(يضرب البغال الثاني على أذنه)**

البغال الثاني : وهاك الجواب! **(يضرب سانشو على أذنه)**

سانشو : النجدة، يا سنيور!

دون كيشوت : **(وقد وجه طعنة بالجانب المسطح للرمح إلى البغال الثالث)** دافعوا عن أنفسكم، أيتها الحثالة الحقيرة!

البغال الثالث : النجدة، يا شباب!

البغال الأول : النجدة، يا شباب! إنهم يقتلوننا نحن اليانغوس.

(يدخل البغال السادس والسابع جريا)

البغال الرابع : **(وقد ضرب سانشو)** إلى هنا يا إخوة. انهم يقتلوننا نحن اليانغوس.

البغال الخامس : **(وقد ضرب دون كيشوت)** لا تخذلوا جماعتنا يا شباب.

البغال السادس : **(ينقض على دون كيشوت، وينتزع منه الحربة)** لا تخافوا ياشباب.

البغال السابع : **(وقد ضرب سانشو)** إلى هنا يا شباب. إنهم يقتلون جماعتنا.

(يدخل البغال الثامن عدوا)

البغالة : **(ينقضون على دون كيشوت، يطرحونه أرضاً)** لا تخذلونا، يا شباب.

(يضربون سانشو)

سانشو : **(وهو يحاول الدفاع عن نفسه)** النجدة يا سنيور، انهم يقتلوننا!

البغال الرابع : دافعوا عن أنفسكم، يا شباب، فقد هوجمنا.

(البغالة يضربون سانشو ودون كيشوت ضرباً مبرحاً. يدخل البغال التاسع والبغال العاشر والبغال الحادي عشر عدواً. ينقضون على سانشو ودون كيشوت)

سانشو : النجدة! لقد قلت... لقد قلت... يا سنيور!

دون كيشوت : **(بصوت مبحوح)** حقيرون!.. سانشو، النجدة!

سانشو : ابن دارايس... **(يهدأ)**

البغال الثاني عشر : **(يدخل عدواً)** قفوا، أيها الشياطين، قفوا. فرحتم! سوف نسأل عنهما! انظروا إليهما فهما لا يتنفسان.

البغال الأول : قفوا، أيها الشياطين، قفوا.

البغال الثاني : يكفي، قفوا، أيها الشياطين!

البغالة : قفوا، أيها الشياطين، قفوا! قفوا، قفوا، قفوا!..

البغال الأول : يكفي يا شباب! ليأخذهما الشيطان، هذان العربيدان.

البغال الثاني والبغال الثالث : كم خفنا!

البغال الثاني : لقد ضربني هذا على أذني.

البغال الأول : ..ليأخذهما الشيطان، سوف نعاقب بسببهما. فلنهرب من هنا يا شباب.

البغالة : فلنهرب من هنا.

(البغالة ينصرفون جميعاً. على العشب يبقى دون كيشوت وسانشو دون حراك. الحمار الحزين يقف قربهما)

(نهاية الفصل الأول)

الفصل الثاني

اللوحة الثالثة

(أمسية صيفية. خان بالوميك ليفشا، بئر، بوابة في الخلف، عنبر مكشوف ذو سقف فيه ثقوب، جناحان. من نوافذ أحدهما تسمع قهقهة ورنين الأقداح، فهناك تتناول عشاءها مجموعة مرحة من النزلاء. ماريتورنيس تنشر الغسيل على الحبل)

ماريتورنيس : (تترنم) ها هو ذا الراعي الأبكم يرقد، وعلى صدره العريض دم. ما سبب موت المسكين؟ لقد ذبح بسبب الحب...

البغال : مرحبا، يا حسناء!

ماريتورنيس : آه! ألا تخجل من إخافة الناس هكذا؟ مرحباً.

البغال : مرحبا، يا ماريتورنيس! منذ عهد بعيد لم أرك، وقد شدني الشوق إليك. إنك، والحق يقال، قد ازددت جمالا خلال هذا الوقت .

ماريتورنيس : آه، كفاك مزاحا.

البغال : لست أمزح، يا ماريتورنيس الغالية، هيا اقتربي مني قليلا، أريد أن أهمس لك بشيء.

ماريتورنيس : عيب عليك .

البغال : شيء عجيب! لكن من أين تعرفين بماذا أريد أن أهمس لك؟

ماريتورنيس : نعرف بماذا يهمسون في الأذن... **(تترنم)** «ها هو ذا الراعي الأبكم يرقد...»

البغال : طيب، اسمعي... إنني أنوي اليوم المبيت عندكم... وهكذا، فحين يسكن الجميع... تقومين بزيارتي.

ماريتورنيس : يا سلام عليك! ولا مقابل أي شيء في العالم. وأين سينزلك صاحب الخان؟

البغال : سأطلب منه أن ينزلني في العنبر.

بالوميك : **(في الجناح)** ماريتورنيس! ماريتورنيس!

ماريتورنيس : ابتعد عني! المعلم يناديني!

بالوميك : **(وقد أطل من النافذة)** ماريتورنيس! أين هذه الصبية التافهة؟

ماريتورنيس : ما بالك تصرخ هكذا؟ انني هنا، وأين يمكن أن أكون؟

بالوميك : ماذا تفعلين عندك؟

ماريتورنيس : وماذا علي أن أفعل؟ إنني أنشر الغسيل كما ترى.

بالوميك : نعرف هذا الغسيل. لا يجوز أن تغيبي عن الأنظار.

البغال : **(وهو يخرج من خلف الغسيل)** مرحبا يا رب الدار. مرحبا، يا سنيور بالوميك ليفشا!

بالوميك : هذا هو الغسيل إذن. ما هذه الصبية غير العادية! قل لي من فضلك. ما ان تدير ظهرك حتى تبدأ العلاقات الغرامية!

البغال : أبداً، عبثا توبخها يا رب الدار، فهي فتاة جيدة. منذ هنيهة دخلت الفناء، ولم ألحق أن أقول لها ثلاث كلمات...

بالوميك : الكلمات تختلف فيما بينها. فأحيانا ثلاث كلمات تكون أسوأ من حديث طويل بكامله. هذه الحسناء معروفة للجميع.

ماريتورنيس : ألا يكفي أن المصائب العائلية المختلفة أجبرتني على الخدمة في الخان لقاء قروش؟

بالوميك : طيب، طيب، يكفي شكوى، أيتها الخاملة!

(ماريتورنيس تختفي)

هل تقصدني؟

البغال : نعم أريد المبيت عندك.

بالوميك : كل الأماكن محجوزة، لم يبق سرير واحد... اللهم إلا في العنبر. هل ترغب في العنبر؟

البغال : هذا يعني الالتحاف بالسماء والنجوم. فالسقف لديك مثقوب.

بالوميك : آه، عذراً، أيها السنيور المبجل! لو عرفت أنك ستشرفني إذن لجهزت لك قصراً ذا سقف ذهبي وأغطيه من الحرير. إن كان لا يعجبك فاذهب ونم في الحقل، فأنا لم أدعك، أقول لك ان كل الأماكن محجوزة.

البغال : طيب، طيب موافق في الحظيرة.

بالوميك : هاك الجلال! **(يرمي له الجلال من النافذة)** افرشها تغفو كما على فراش الريش، على الطريقة الملكية، حتى ان الجميع سوف يحسدونك **(البغال يأخذ الجلال، وإذ يمر من جانب ماريتورنيس يعطيها بعض الإشارات الغامضة)**.

ماريتورنيس : (بهدوء) أبداً، أبداً ... (تترنم) ما سبب الدم عليه يا ترى؟ لقد طعنوه بالسكين في قلبه، ومات بسبب الحب

ارناندیس : **(في نافذة الجناح)** هيه، يا صاحب الخان، هات لنا خمرا أيضاً!

بالوميك : حالا، يا سنيور، يجري إلى الجناح يحمل الدن، ثم يعود إلى مكانه **(من الجناح تصدر قهقهة، وترن الأوتار)**

ارناندیس : **(في الجناح يغني)** آه، يا مركيزي مانتوانسكي، مانتوانسكي، مانتوانسكي، يا خالي ويا سيدي!..

(من البوابة يدخل سانشو، مقوساً أشد التقويس، يقود حماره من رسنه. على الحمار دون كيشوت شبه الميت. ومن الخلف يسير روسينانتي الأعرج، محملا بالدرع والخوذة المدعوكين، وبالحربة اليدوية الصنع. رأس سانشو مضمدة بخرقة، تحت عينه كدمة، وقد نتف نصف لحيته)

سانشو : شكرا للسموات، فقد بلغنا الخان! أوه!... **(يجلس على حافة البئر)** هيه، يا صبية... يا صبية!... تعالي هنا!

ماريتورنيس : يا سلام! لم يصدف أن رأينا من هذا النوع!

سانشو : **(لدون كيشوت)** استيقظ، يا سنيور، فقد وصلنا الخان.

دون كيشوت : ماذا؟

سانشو : كن أكثر نشاطاً، يا سيدي، وإلا فإنك تشبه كيس زبل. لقد وصلنا الخان.

دون كيشوت : ماذا تقول، يا سانشو؟ هل وصلنا القصر؟ انتظر الآن سيخرج القزم، وينفخ في البوق، وسينزلون الجسر المتحرك، وسوف ندخل...

سانشو : أية جسور وأقزام يا سيدي! استيقظ.

(يسمع صوت بوق راعي الخنازير)

دون كيشوت : هل تسمع أصوات الأبواق، أيها التابع قليل الإيمان؟ انهم يستقبلوننا. **(يترجل عن الحمار وهو يتأوه)**

ماريتورنيس : شيء مسل!

دون كيشوت : **(لماريتورنيس)** أيتها السنيورة الحسناء! اسمحي لي أن أقدم لك نفسي. إنني الفارس المتجول دون كيشوت اللامانشي الذي لقبته الأقاويل بفارس الهيئة الحزينة. إنني ذلك الفارس الذي كسفت مآثره مآثر السيف المتوهج ورينا لدوس ده مونتالبان الذي سرق صنم ماغوميت الذهبي! إنني خادمك المطيع.

ماريتورنيس : آه، إنني في غاية الامتنان، أيها الفارس! **(لسانشو)** انه يتحدث بحلاوة، بشكل جيد، لكن بشكل عجيب، بشكل عجيب، لدرجة أنك لاتفهم شيئاً!

البغال : **(وهو يطل من العنبر)** ماذا يعني هذا؟ يبدو أن هذا الجرذ المنتوف يقترب من ماريتورنيس؟

ماريتورنيس : **(لسانشو)** هل هو اغريقي يا ترى؟

سانشو : اغريقي، اغريقي، المهم أن تدبري لنا المبيت يا صبية.

ماريتورنيس : يا معلم! يا معلم!

بالوميك : (وهو يطل من النافذة) ماذا تريدين؟

ماريتورنيس : استقبل النزلاء.

بالوميك : (ينظر إلى دون كيشوت جاحظ العينين، ثم يخرج) أية خدمة؟

دون كيشوت : سنيور كاستليان(*) إنك ترى أمامك فارسا ينتسب إلى أخوية الجوالة وتابعه.

بالوميك : ماذا تقول؟... أخوية؟!

دون كيشوت : سنكون في غاية الامتنان لك إذا ما آويتنا في قصرك.

بالوميك : أيها السنيور الفارس، يمكنني أن أقدم لك كل شيء عدا الغرفة والسرير، فلا يوجد سرير شاغر.

دون كيشوت : اننا نرضى بالقليل، لأن المعركة راحة للفارس، وسلاحه زينته، وفراشه الصخور الصلبة.

البغال : يا له من شاطر في الكلام، ليأخذه الشيطان!

بالوميك : طيب، إذا كان الأمر كذلك، يا سيدي. فلن تعثر على مكان أفضل مما عندي في العنبر.

البغال : اللعنة! لكنك اعطيتني العنبر يا معلم.

---

* Castellanus كلمة لاتينية تعني ساكن القلعة، وكانت تطلق في العصور الوسطى على السنيور صاحب القلعة والقيم عليها. (المترجم)

بالوميك : المكان يكفي لثلاثة. **(لدون كيشوت)** أين زيّنوك هكذا، يا سيدي؟

سانشو : لقد سقط عن الصخرة.

ماريتورنيس : عن أية صخرة؟ فليس ثمة صخور عندنا.

سانشو : طالما أنني أقول إنه وقع عن الصخرة فهذا يعني أن هناك صخرة في مكان ما.

بالوميك : **(لسانشو)** وهل وقعت بدورك عن الصخرة؟

سانشو : أوه، وأنا أيضاً... أقصد انني لم أقع، لكن ما ان رأيته قد وقع حتى شعرت للتو أنني تحطمت تماماً.

ماريتورنيس : آه، هذا يحدث. ففي بعض الأحيان أرى في المنام أنني أقع، واستيقظ محطمة، محطمة تماما!

بالوميك : نحن نعرف ماذا ترين في المنام، بوسعك ألاّ تحدثينا. هيه!

(يدخل أحد العمال عدوا)

خذ الحصان والحمار، وضعهما في الاسطبل.

دون كيشوت : أرجوك بكل حرارة يا سنيور كاستيليان أن تعتني جيدا بهذا الحصان، لأنه أفضل حصان ركوب وجد في العالم على مر العصور!

البغال : هذا؟ **(يعطي لبالوميك إشارات تعني أن دون كيشوت ليس في كامل عقله)**

(العامل يقود الحمار وروسينانتي)

سانشو : **(لدون كيشوت)** لو أنك تحدثهم، يا سنيور، عن المقدوني، وإلا فإنهم لايصدقونك. فلنذهب إلى العنبر. **(يقود دون كيشوت إلى العنبر)**

(الجميع ينصرف من الفناء)

بعد كم من الوقت سنكون قادرين على تحريك أقدامنا برأيك، يا سنيور، فما بالك بالسير؟

دون كيشوت : اعترف أنني الملوم دون شك في كل ما حدث. لم يكن ينبغي علي رفع السيف في وجه أناس لا ينتمون إلى لقب الفروسية. إذا ما صدف وأغارت علينا عصابة من نوع عصابة اليوم سنتصرف على النحو التالي : حتى انني لن ألمس سيفي، بل تقوم أنت بامتشاق سيفك، وتحصدهم دون شفقة. وإذا ما انبرى الفرسان للدفاع عنهم، حينذاك فقط أبدأ العمل، وكن على ثقة أنني سأتمكن من حمايتك. خطة جيدة.

سانشو : جيدة جدا، يا سنيور، ليقتلني الرعد! هذا كل ما أقوله لك يا سيدي! إنني إنسان مسالم، هادىء، وديع، رقيق،

دمث الخلق، لين العريكة، هذا أولاً. وثانياً. ليس لدي سيف، وهذا من دواعي سروري البالغ، وثالثاً. لن أمتشقه ضد أي إنسان بسيط، أو نبيل، أو فلاح، أو فارس، أو راعي ماعز، أو راعي خنازير، أو شيطان، أو ابليس.

دون كيشوت : كم أنا آسف ان الألم يحبس أنفاسي، وإلا لكنت اعترضت عليك كما يجب. شيء واحد فقط استطيع أن أقوله هو ان على من لديه مثل مسالمتك أن يصبح الراعي بانسينو، ولا يمكنك أن تحكم الجزيرة، فلسوف يجابهك الأعداء، والرجولة ضرورية لذلك. هلا فهمت، يا مسكين، أن العواصف من نوع عاصفة اليوم على ارتباط وثيق بلقبنا، ومن دونها إذن لفقدت كل روعتها.

سانشو : قل لي شيئا واحدا يا سنيور: هل المحصول، من نوع ماجنينا اليوم، سيستمر دون توقف واحدا في أعقاب آخر، أم أن فواصل ستكون بينها؟ وإلا، لسوء الطالع، يمكن بعد جني اثنين منها أن نجد أنفسنا عاجزين تماماً؟

دون كيشوت : انس المصيبة التي أحاقت بنا يا سانشو. لا وجود للذكرى التي تصمد في وجه الزمن، ولا وجود للألم الذي لا يشفيه الموت. الآن سنبدأ في تحضير بلسم فيرابراس.

سانشو : **(وقد انتعش)** ماذا يلزم لذلك، يا سيدي، قل لي. هي ، يا فتاة، يافتاة!

ماريتورنيس : ماذا تريد؟

سانشو : سأقول لك يا عزيزتي : الآن سنقوم بتحضير البلسم.

ماريتورنيس : أي بلسم؟

سانشو : إنه، يا روحي، بلسم سحري! أقول لك إن أحدهم انشطر في المعركة الى نصفين... أوه! ... اعطوه جرعة، فانطلق يحصد المغاربة!

ماريتورنيس : اعطني قليلاً منه أجربه، فالسأم يثقل على قلبي، لكأن قطة تخمشه بمخالبها.

سانشو : سنعطيك. **(لدون كيشوت)** ماذا يلزم، يا سيدي؟

دون كيشوت : خذي طنجرة كبيرة...

سانشو : **(لماريتورنيس)** هل تسمعين، طنجرة؟

ماريتورنيس : طنجرة.

دون كيشوت : صبي فيها خمس زجاجات من النبيذ الأحمر الحلو.

سانشو : **(لماريتورنيس)** هل تفهمين؟

ماريتورنيس : أفهم.

دون كيشوت : ضعي فيها حفنة من الثوم المبشور.

سانشو : (لماريتورنيس) هل حفظت :حفنة من الثوم؟

البغال : (يدخل) ماذا يعني هذا؟

ماريتورنيس : إنهما يعرفان البلسم... سوف يعدان البلسم، انه بلسم... فقد شطروا أحدهم نصفين...

البغال : طيب، طيب!

دون كيشوت : أربع أو خمس ملاعق كبيرة من الملح.

سانشو : (لماريتورنيس) اسمعي.

البغال : سوف احفظها. خمس ملاعق من الملح. هذا صحيح.

ماريتورنيس : (وهي تثني أصابعها) خمس.

دون كيشوت : قبضة من الفلفل الأحمر... أربع حفنات من ثمار البلوط، خل، ثلاث زجاجات من زيت اللامب(*)، وملعقة صغيرة من زيت الزاج.

البغال : كل شيء صحيح. فأنا أعرف هذا البلسم.

---

* من الكلمة الإغريقية Lampados وتعني الشعلة التي يوقدها الكاثوليك أمام الايقونات. (المترجم)

دون كيشوت : يحرك كل شيء جيداً ثم يسخن على النار.

ماريتورنيس : فهمت، سأفعل ذلك الآن.

البغال : سوف أساعدك. انه بلسم جيد، حتى إنه يساعد البغال، ومن الحكة بشكل خاص.

(ماريتورنيس والبغال وسانشو يذهبون إلى المطبخ)

بالوميك : **(يظهر في العنبر)** لقد قالت لي خادمتي، أيها السنيور المحترم، إنك تملك سر البلسم الذي يشفي من كل شيء. إنني سعيد، يا سنيور، إن القدر قادك إلي. لقد أعطيت كل ما هو لازم للخادمة، وآمل أنك ستسمح لي أن أجرب هذا الدواء. ففي الآونة الأخيرة يؤلمني ظهري جداً. وأنا من جهتي على استعداد لأن أخدمك على أفضل وجه.

دون كيشوت : سوف ألبي طلبك بكل طيبة خاطر يا سنيور كاستيليان.

بالوميك : إن ظهري يقطعني كما السكين.

العامل : **(ومعه قدح)** سيدي.

بالوميك : ماذا تريد؟

العامل : أريد بعض البلسم... فلدي دمل جفن هائل الحجم.

بالوميك : طيب، طيب، لن تموت بسبب هذا!

دون كيشوت : لا تطرده، يا سنيور كاستيليان، يجب أن نشفق عليه أيضاً. لسوف أعطيه من هذا البلسم بكل طيبة خاطر.

بالوميك : إذا كنت واسع الصدر هكذا يا سنيور...

(تظهر ماريتورنيس والطنجرة في يديها، سانشو والبغال وخادم دون مارتينيس يحملون الأقداح)

ماريتورنيس : جاهز يا سيد.

بالوميك : **(لخادم مارتينيس)** وأنت، ماذا تريد؟

خادم مارتينيس : إن سيدي دون بيدرو مارتينيس يرجو، بعد أن سمع بالبلسم، أن تعطوه وجبة واحدة.

بالوميك : ايه!... **(للخادم)** هات ريالين.

خادم مارتينيس : تفضل، لكن أقوى شيء. **(يعطي النقود لبالوميك)**

ماريتورنيس : إن أحدا لا يمكن أن يسخنه بشكل أفضل يا سنيور!

دون كيشوت : **(يبسط يديه فوق الطنجرة، ويهمس ببعض الدعوات. بالوميك، خادم مارتينيس والبغال يرفعون قبعاتهم)** يمكن أن تشربوا.

بالوميك : مهلا، مهلا، بالترتيب **(يصب البلسم في الأقداح)**.

(خادم مارتينيس يجري إلى الجناح. الباقون يشربون البلسم. دون كيشوت أول من تسوء حالته، فيقع مستلقياً على قفاه)

أوي!... أوي!... أوي!... أي شيء هذا؟!

ماريتورنيس : اطلب لي الكاهن، يا معلم.. اطلب الكاهن لقاء خدمتي بإخلاص... لقد جاء الموت... **(بغتة تتوقف الموسيقى في الجناح، تقرقع الأواني، تسمع قهقهة)**

سانشو : ليكن ملعونا بلسمك من الآن إلى أبد الآبدين!

(بالوميك ينطلق عدواً، ومن خلفه تنطلق ماريتورنيس والعامل. من الجناح يخرج عدواً دون بيدرو مارتينيس، ومن خلفه خادمه يحمل القدح)

مارتينيس : يا وليد جهنم، ماذا سقيتني؟! جلاد!

خادم مارتينيس : ريالان، يا سنيور، لقد دفعت ريالين كأنهما درهم واحد... أفضل بلسم... لقد أمرت بنفسك.

مارتينيس : قاتل! **(ينطلق خارجاً)**

خادم مارتينيس : ما باله قد استشاط غضباً؟ يجب أن أجربه.

(يأتي على بقايا البلسم، يراوح في مكانه بعض الوقت، ومن ثم ينطلق في إثر مارتينيس)

سانشو : ما هذا الذي تفعله بالناس يا سنيور؟

البغال : (يشرب البلسم ببطء، يمسح فمه، ويخاطب سانشو) هل تضايقت، ياصاحبي؟

سانشو : اذهب عني...

البغال : سأقول لك السبب، الفلفل قليل، وهو بشكل عام بلسم بحق وحقيق، صحيح أنه بلسم حاد، ونحن نداوي به البغال باستمرار. في البداية يخبط البغل بقوة، ويلبط، لكنه بعد ذلك يبقى عاما كاملا كما الحديد، وينطلق كما السهم من الأرباليت(*). لا تخف. الآن ستزداد حالتك سوءا، لكنك ستقفز فيما بعد معافى.

سانشو : اذهب عني، أيها اللعين. إن حالتي تسوء حين أراك أمام عيني.

البغال : لا تتذمر يا صديقي. آه، يبدو أنه يؤثر في أيضاً **(ينطلق خارجاً)**.

دون كيشوت : إنني أعرف، يا سانشو، لماذا ساءت حالتك.. فأنت لم تكرس فارساً، بينما هذا البلسم...

سانشو : ولماذا لم تحذرني، يا سنيور، بحق الشيطان!

دون كيشوت : أما أنا فقد تحسنت، لم يبق إلا أن أغفو... **(يغفو)**

(يعود بالوميك، مارتينيس والعامل)

---

* Arbalete كلمة فرنسية تعني القوس المعدل. (المترجم).

بالوميك : الشياطين حلت في خاني : أعني أنه لم يحدث لهذا مثيل في الحياة.

مارتينيس : **(يظهر برفقة خادمه)** هل تعرف أنها مادة جيدة؟! في البداية يصبح الأمر فظيعاً، لكنك ترتاح بعد ذلك. اشتر قدحاً من بيطار الخيل هذا.

خادم مارتينيس : حاضر يا سنيور. **(ينصرف إلى الجناح مع مارتينيس)**

(إلى العنبر يعود البغال)

سانشو : أوه... لماذا هذا العقاب؟ علقتان متتاليتان نهاراً، وفي المساء هذا البلسم... هل تريد هلاكي يا سيدي؟ أية حياة هذه، إنني أسألك؟

البغال : أية علقات؟ لكنك قلت إنه سقط عن الصخرة؟

سانشو : دعني وشأني...

(يخيم الظلام بسرعة، يرتسم القمر، يظهر الضوء في النافذة لدى بالوميك، ثم ينطفىء. لبعض الوقت، مازلنا نسمع القهقهة والغناء ورنين الأقداح في الجناح)

مارتينيس : **(في الجناح)** بصحتكم أيها السادة!

(بعد ذلك يخيم الهدوء على الجناح أيضاً، وتظلم

النوافذ. في الفناء تظهر ماريتورنيس)

ماريتورنيس : **(وهي تتسلل باتجاه العنبر)** اعتقد أن الجميع قد غفوا. **(تصيخ السمع)** نعم، نائمون.. أوه، إنني خائفة!... هيه، أيها البغال، هل أنت نائم؟

دون كيشوت : **(وقد استيقظ)** ما هذا الذي أسمع؟

(ماريتورنيس في العنبر تفتش عن سرير البغّال، وقد أخذ ماريتورنيس من يدها) أيتها السنيورة الساحرة!

ماريتورنيس : أهذا أنت؟ هل رأيت، لقد همست لي...

دون كيشوت : أيتها السنيورة الولهانة، كم كان بودي أن أكون ممتنا لك بالقدر المناسب على ذلك الشرف...

البغال : **(وقد استيقظ)** ماذا يعني هذا؟

ماريتورنيس : آه، ليس هذا، ليس هذا! إنه ليس أنت!

دون كيشوت : لقد رماني القدر، أنا الجريح...

ماريتورنيس : دعني يا سنيور.

دون كيشوت : سنيورا...

البغال : هيه! ان لحية التيس هذا... رجل مقحام! ولكنه يبدو، اذ تنظر إليه، انه هادىء! يعد البلسم، سقط عن الصخرة...

دون كيشوت : إنني أفهم نيتك...

ماريتورنيس : دعني، يا سنيور!

دون كيشوت : ليكن في علمك، ياسنيورا، أنني مخلص لدولسينيا من توبوس التي لا مثيل لها.

البغال : إلى الشيطان هذا الغناء! **(يتسلل باتجاه دون كيشوت، يضربه بالطست على رأسه)**

دون كيشوت : يا للمغربي الماكر!

ماريتورنيس : آه!

سانشو : **(وقد استيقظ)** من هناك؟ من هناك؟ ماذا تفعلين هنا، يا عزيزتي؟ **(يقبض على ماريتورنيس من يدها)**

البغال : وأنت لا تتدخل فيما لا يعنيك! **(يضرب سانشو)**

سانشو : أوه، اذن فقد بدأنا من جديد؟ **(يغوص تحت الجلال)**

دون كيشوت : **(وقد امتشق سيفه)** طيب انتظر، أيهاالغادر، يا من هاجمتني غدرا! هيه، سانشو!

سانشو : إنني نائم يا سيدي.

ماريتورنيس : أين أذهب؟

البغال : ليس إلى هنا، ليس إلى هنا. فقد استيقظ المعلم، وقد يراك!

(ضوء في نافذة بالوميك)

امرقي عبر السقف! **(يجلس ماريتورنيس، فتختفي هذه من العنبر. يرتمي على سريره، ويتغطى بالجلال)**

دون كيشوت : القصر مسحور! هنا سحرة! آ! ها هنا اختبأت، أيتها الكائنات الشريرة! أنتم كثيرون بينما أنا وحدي، لكنكم لن ترهبوني. **(يصيب زق النبيذ بسيفه)** ها هو ذا الدم الأسود قد انبجس! لقد جندلتك أيها الشرير!

ماريتورنيس : **(في الجناح)** ماذا جرى؟ هيه، نار!

ارناندبس : **(في الجناح)** نار، نار!

بالوميك : **(يندفع إلى الفناء)** ماذا جرى هناك في العنبر؟ هيه! أراهن برأسي أن هذه مقالب ماريتورنيس اللعينة. هيه! ماريتورنيس، أين أنت، أيتها الساقطة؟

دون كيشوت : اندحر العدو.

ماريتورنيس : **(في النافذة)** ماذا تريد؟ ما بال الروح الخبيثة توقظك ليلا، يامعلم؟

بالوميك : كيف؟ أنت هنا؟ كنت على ثقة أنك قد أصبحت في العنبر.

(إلى الفناء يندفع ارنانديس، ومارتينيس يحمل سيفه، وخادمه يحمل المحراك، ونزيل آخر يحمل المصباح)

مارتينيس : من أغار؟ ماذا حدث؟ هيه، من قتل؟

ارنانديس : لصوص؟ أين اللصوص؟ هيه، هناك في العنبر!

(ينتشر الضوء)

دون كيشوت : إن خصمي قتل، يا كاستيليان المحترم! انظر ها هو ذا دمه يجري!

بالوميك : **(وقد أسقط السراج)** وددت لو رأيت دمك بدل هذا! انظروا، أيها السادة، فقد فزر هذا المجنون زق الخمر!

البغال : **(وهو يتظاهر أنه قد استيقظ)** آ، لماذا لا يدعونني أنام بحق الشيطان؟

سانشو : نعم، بالفعل، لماذا لا يدعونني أنام لا أنا ولا فارسي؟

دون كيشوت : الباقون ولوا الأدبار يا سانشو. هيا بنا في إثرهم، ولسوف نلحق بهم.

سانشو : نعم، يا سنيور، لقد آن أواننا، فقلبي يحدثني أن هرجا ومرجا كبيرين سيحدثان هنا (**ينطلق إلى الاسطبل، يقود روسينانتي والحمار**)

(يظهر العامل وماريتورنيس)

بالوميك : متعوا أنظاركم، أيها السادة، بما فعله هذان الشخصان شبه المجنونين بخمري، أفضل ما لدي من خمر.

ارنانديس : فعلا إنهما شيطانان. أليس كذلك يا سنيور مارتينيس؟

مارتينيس : أهو من صنع البلسم؟

خادم مارتينيس : هو نفسه يا سيدي.

مارتينيس : بلسم رائع، لكن أي عفريت يوقظهما ليلاً؟

دون كيشوت : (**وهو يجلس في السرج**) سنيور كاستيليان يحزنني أنني مضطر لأن أغادر قصرك المضياف على جناح السرعة. إن علي أن أنطلق لمطاردة أعدائي. أشكرك على الاهتمام الذي أوليتني أنا وتابعي، وأتمنى لك كل التوفيق.

البغال : عاد إلى الإنشاد! لو نكسر رقبته مودعين!

سانشو : لا داعي للخطب الطويلة، يا سنيور، هيا بنا.

بالوميك : احتفظ بتشكراتك لنفسك، أيها السيد الصيدلاني، وادفع أجرة المبيت والعلف، والأهم ثمن الخمر الذي أتلفت في خاني!

دون كيشوت : كيف، وهل هذا خان؟ أو تقول الحقيقة؟ إذن فقد كنت على ضلال، إذ اعتقدت أنني موجود في قصر. على كل حال هذا لا يقدم ولا يؤخر. فالحر والقر، الطقس السيىء والبرد يعذبان الفرسان المتجولين في الوقت الذي يطوفون فيه العالم من أجل خير البشرية، ولم يجرؤ أحد في أي زمان أو مكان على مطالبتهم بأي أجر. هذا هو نظام الأخوية. وداعا!

بالوميك : قفا! العدل يا سادة!

دون كيشوت : **(وهو يهدد بالحربة)** ابتعد، أيها البخيل، إذا كانت حياتك غالية عليك! **(ينطلق باتجاه البوابة)**

بالوميك : العدل. العدل. لقد نهبوني. امسكوا بالثاني. **(للعامل)** اغلق البوابة.

(يحيطون بسانشو)

هل ستدفع أيها الوغد أم لا؟

سانشو : الحر والقر... يعذبان أخويتنا... دعوني أمر.

بالوميك : هل رأيتم، ياسادة، هذين النصابين؟

ارناندیس : هل ألقنه درساً؟ الوقح!

مارتينيس : أكرر :البلسم رائع فعلاً، لكنه محتال فعلاً. هاتوا البطانية هنا.

سانشو : النجدة، يا سنيور!.. لا تهرب، أيتها الكائنات التافهة، النجدة!

(رأس دون كيشوت تظهر خلف السياج. ينقضون على سانشو، ويطرحونه على البطانية)

دون كيشوت : (خلف السياج) أيها اللئام الأنذال! اطلقوا سبيل تابعي حالاً!

(يتقاذفون سانشو)

بالوميك : (في فترة الصمت) هل ستدفع؟

سانشو : بودي، لكنني لا استطيع...

بالوميك : اقذفوه عاليا حتى السماء!

مارتينيس : يكفي. ليأخذه الشيطان.

بالوميك : (وقد استولى على خرج سانشو) اعطني الخرج، واغرب عن وجهي، أيها النصاب الأسود.

(الجميع يتفرق من الفناء عدا مارتيورنيس والبغال)

البغال : إن هذا الشاب يعجبني! شاب صلب العود! فهو لم يدفع على أي حال. برافو!

ماريتورنيس : هاك، اشرب الماء.

دون كيشوت : **(وراء السياج)** لا تشرب هذا الماء يا سانشو، فهو مسموم. مازالت لدي بقايا البلسم. ستجعلك تقف على قدميك حالاً.

سانشو : احتفظ ببلسمك يا سنيور، لربنا لدوس مونتالبان، صنم ماغوميت الذهبي، ولجميع الأبالسة. لكن دعني وشأني.

دون كيشوت : تعيس! لا استطيع أن أراك تسمم نفسك. ثب إلى رشدك. **(يبتعد عن السياج)**

سانشو : اعطني قليلا من الخمر يا صبية. **(همساً)** سوف أدفع لك.

(ماريتورنيس تجلب الخمر)

البغال : وهاتي لي أيضاً بالمناسبة.

سانشو : شكرا لك. **(يعطي ماريتورنيس قطعة نقدية)**

البغال : لاداعي، فأنا أضيفك. لقد أعجبتني بصلابة طبعك.

سانشو : إنكما الكائنان الطيبان الوحيدان بين جميع المعذبين في هذا الخان. صحيح أن سلوكك، يا صبية، يستحق بعض اللوم، لكنني لا أحب لوم الناس. شكرا لكما، وداعا.

ماريتورنيس : وداعا.

البغال : **(وهو يرافق سانشو حتى البوابة)** يجب وضع مزيد من الفلفل، تذكر هذا. وحينذاك بيعوا القدح بريال بكل جرأة.

اللوحة الرابعة

(لدى دون كيشوت . الوقت نهار. نرى في الغرفة: أنطونيا، قيمة البيت، بيريس ونيقولاس)

بيريس : وهكذا ماذا نفعل الآن؟ ليس عيبا أن يقال «وداوها بالتي كانت هي الداء...»

نيقولاس : إنني أشاطرك الرأي تماماً، يا عرابي المحترم.

بيريس : إن التعطش للمآثر قد طرد الفارس المسكين من البيت. فلنجعله يجترح تلك المآثرة التي من شأنها أن تعيده إلى البيت. وها هو ما توصلت إليه مع السنيور نيقولاس : تقومين، يا انطونيا، بدور الأميرة الساحرة.

أنطونيا : لست أفهمك أيها السنيور القس.

نيقولاس : يكفي فك هذه الصرة حتى تفهمي كل شيء. (**يخرج من الصرة ثوباً نسائياً فاخرا، لحية كبيرة قابلة للتعليق، جيتاراً وقناعاً)**

بيريس : تذكري، يا أنطونيا، أنك الأميرة الساحرة، ابنة الملك تيناكريو الحكيم والملكة هاراميليا، وريثة مملكة ميكاميكون العظمى في غينيا. وقد عمد المارد الشرير

باندوفيلاندو الأعور إلى انتزاع مملكتك. سوف نلحق بخالك المجنون، وستطلبين منه من بين الدموع أن يدافع عنك، ويسترد هذه المملكة من المارد.

قيمة البيت : يا إلهي، اعف عنا، نحن المذنبين.

نيقولاس : لن أكون حلاق هذه البلدة ان لم يلحق بك حيثما أردت.

بيريس : لكن أوحي له أن الطريق إلى مملكتك يمر عبر لامانشا.

أنطونيا : آه، الآن فهمت.

نيقولاس : **(يناول انطونيا الفستان والقناع)** بدلي ثيابك يا أنطونيا.

انطونيا : حالاً. **(تنصرف إلى الغرفة المجاورة)**

قيمة البيت : أيتها السماء الرحيمة، أية حيل نلجأ إليها من أجل إعادة سيدنا المسكين إلى منزله.ليأخذ الشيطان وقاطع الطريق فاراوا إلى الجحيم كتب الفروسية التي قضت على أكثر العقول في لامانشا إشراقاً. وليأخذوا مع الكتب سانشو ابا الكرش، الذي أغوى السنيور الونسو بالخروج من البيت. **(تنصرف)**

بيريس : فلنبدأ، يا عرابي العزيز.

(بيريس يرتدي اللحية. نيقولاس يرتدي فستاناً، يضع غطاء على رأسه، يرتدي القناع ويأخذ الجيتار، انطونيا تدخل في ثياب فاخرة، في قناع)

أنطونيا : أهذا أنت يا مايئسي نيقولاس؟ من تكون الآن؟

نيقولاس : إنني دوينيا التي ترافقك في تشردك المحزن. تذكري اسمي :دولوريدا.

(يعزف على الجيتار)

بيريس : أما أنا، يا سنيورة أنطونيا، فعمك، أخو الملك تيناكريو المقتول.

أنطونيا : فهمت، فهمت!

بيريس : المهم شيء واحد هو أن تستدرجيه إلى هنا، وحينذاك سنجد الحل المناسب حسب الظروف.

(في هذا الوقت يدخل فناء الدار سانشو راكباً حماره، وفي اللحظة نفسها تندفع قيمة البيت من المطبخ)

قيمة البيت : انه هو. نعم، إنه هو. عيناي المسكينتان لاتخدعانني!

سانشو : هذا أنا، أيتها السنيورة القيمة.

قيمة البيت : نعم إنه هو، المشاغب والمتشرد في أرجاء الكون!

سانشو : نعم، إنه هو...

(انطونيا، بيريس ونيقولاس يندفعون نحو النافذة، يراقبون هذا المشهد)

قيمة البيت : أجب، أيها الببغاء النجس، يا من تكرر كلام الآخرين، أين السنيور كيشانو؟ أين أخفيته؟ هل أنت وحدك؟ أجب، هل عدت وحدك؟

سانشو : لست غبيا، يا سنيورا قيمة البيت لدرجة أن أؤكد لك انني اثنان، فأنت ترين أنني وحدي.

قيمة البيت : أين تركت السنيور الونسو، أيها اللعين؟

سانشو : لينجدني أحد ما، من لديه قلب، يا عزيزتي القيمة، خلال هذا اليوم ضربوني مرات كثيرة، لكن في كل مرة كانوا يضربونني مع نهاية إقامتنا في مكان ما، أما الآن فما ان حشرت أنفي في البوابة حتى بدأت العلقة. ساعدوني!

أنطونيا : يا إلهي! إنها تعذبه.

بيريس : مهلاً، مهلاً، الآن سنعرف كل شيء.

قيمة البيت : أين تركت سيدي؟

سانشو : انقذوني من قيمة جهنم! السنيور حي معافى وسليم. لا يحق لك أن تضربيني! ان لم يكن اليوم فغداً سأصبح محافظا.

قيمة البيت : هل سبق وسمعتم شيئا من هذا القبيل، أيها الناس الطيبون؟ من زرع هذه الفكرة في رأسك، أيها الغبي الجشع؟ أين السنيور كيشانو؟ لماذا أنت ساكت؟

سانشو : يا إلهي العادل، ولا يوجد أحد يخلصنا من بين يدي القيمة التي تعذبني كما يعذب النسر الحمامة!

بيريس : سنيورا، قيمة البيت!... أيتها السنيورة المحترمة، اكظمي غضبك الذي تنقضين به على هذا الإنسان الذي لا جريرة له.

سانشو : من يكون هذا؟

قيمة البيت : دعه يقول أين ترك سنيور ألونسو؟

بيريس : سوف نعرف هذا أسرع منك. نصيحتي لك، أيتها السنيورة القيمة، أن تتابعي إعداد الطعام لنا، فأمامنا طريق طويل.

قيمة البيت : طيب، حسناً، يا سنيور. لكن أتوسل إليك أن تعرف أين سيدي المسكين! **(تنصرف)**

بيريس : اترك حمارك، أيها المحترم، واصعد إلى هنا.

سانشو : **(وهو يدخل الغرفة)** الصحة الطيبة للسنيورتين والسنيور المحترمين.

بيريس : اسمحوا لي، إنه هو.

نيقولاس : هل أصدق عيني؟

بيريس : نعم، يا أميرة، إنه هو، سانشو بانسا، تابع الفارس المشهور دون كيشوت. لن يهدأ لي بال حتى أعانقه.

أنطونيا : كلا، كلا، أنا أول من يقوم بذلك.

نيقولاس : كلا، دعوني أنا أولا، **(يعانق سانشو)** إن روحي تضطرم، وفي هذه الحالات لا شيء يعيد لي الطمأنينة إلا الموسيقى.

(يعزف على الجيتار)

(بيريس وأنطونيا يعانقان سانشو)

سانشو : من صميم قلبي أشكركم على الموسيقى والملاحظة، التي اسبغتموها علي، لكن قولوا لي من أين تعرفونني؟

بيريس : إن شهرة فارسك تجري في العالم كما النار في الهشيم(*)، ومن خلفها تجري شهرتك بالطبع. اجلس، أيها التابع الذي نحب جميعا، وقل لنا أين فارسنا؟

سانشو : سأجلس بكل ارتياح، لأنني مرهق جداً بعد ضرب القيمة إياي، لكنني لن أقول لكم أين يوجد سيدي.

بيريس : طيب، وما السبب؟

أنطونيا : ماذا أسمع؟ هل يريد التابع القاسي أن ينتزع آخر أمل عندي؟

---

* وردت في النص: كما النار في الغابة. (المترجم)

نيقولاس : لماذا لا تريد أن تدلنا على المكان، حيث يوجد سيدك؟

سانشو : لأنه أمرني بالتكتم على ذلك.

نيقولاس : هذا غريب، أيها التابع العزيز، ذهبتم سوية وعدت وحدك. ومن يدري فقد يعتقد الناس أنك قتلت السنيور دون كيشوت.

سانشو : فليقتل القدر كل واحد يا دونيا المحترمة، أما أنا فلم يسبق لي أن مارست ذلك، والجميع يعرف هذا.

أنطونيا : كــلا، لسوف يخبـرنا أين دون كيشوت. هل تعرف، يا سانشو، ان الأميرة ميكاميكون أمامك!

سانشو : آه! هذا شيء طريف. فلم يسبق لي أن رأيت الأميرات في حياتي.

أنطونيا : والآن، آمل أنك ستخبرني عن مكان وجود فارسك الذي أبحث عنه لأطلب منه المساعدة والحماية.

سانشو : كلا، لن أخبرك يا أميرة.

أنطونيا : طيب، اسمع إذن، أيها التابع الشرير، قصة حياتي المحزنة. لقد عشت في بهرجة لا توصف، في القصر الملكي لوالدي تيناكريو الحكيم الخالد الذكر، وأخيه الحزين عليه الآن...

بيريس : هذا أنا أمامك.

أنطونيا : نعم، إنه هو. كانوا يقدمون لي الفروض الملكية، وكنت أجلس على العرش الذهبي نهاراً، وفي الليالي كان الأمراء ينشدون الأغاني في الحديقة تحت نوافذي.

(نيقولاس يعزف على الجيتار)

سانشو : إن قصتك طريفة جدا، يا أميرة، لكنني لا أرى فيها شيئاً محزناً.

أنطونيا : اسمع، أيها التعيس، ما جرى بعد ذلك : ففي أحد الأيام الرهيبة أغارت جحافل المارد باندوفيلاندو على مملكتنا...

سانشو : آه! إن هذا أسوأ!... إنني أتصور هذا بوضوح... جحافل صغيرة من البغالة اليانغوس أغارت ذات مرة، ومازلت حتى الآن... على كل حال، لا داعي للحديث عن هذا. طيب، وماذا جرى بعد ذلك؟

أنطونيا : لقد أخذوا والدتي الملكة هاراميليا. ووالدي.

سانشو : هذا التيناكريو؟

أنطونيا : نعم، نعم. وذبحوهما.

سانشو : حتى الموت، كليهما؟

أنطونيا : نعم، كلاهما في القبر.

سانشو : (لبيريس) وكيف نجوت يا أخا الملك؟ لا شك أنك استسلمت؟ في الحالات اليائسة يحافظ الجسور على نفسه لفرصة أفضل.

نيقولاس : (لبيريس) كم هو عياب! ليأخذه الشيطان!

بيريس : (لنيقولاس) يبدو أنه تأثر قليلاً.

(نيقولاس يعزف على الجيتار)

أنطونيا : وهكذا فقد اندفعت برفقة دونياي نبحث عن دون كيشوت اللامانشي للعثور على الحماية لديه. والآن ستقول لي بالطبع أين دون كيشوت؟

سانشو : لن أقول.

نيقولاس : (وقد ألقى بالجيتار) ألا ليأخذك...

بيريس : عبثا تغضبين. يادونيا دولاريدا الغالية. يخيل إلي أن التابع يتصرف بشكل صحيح، إذ يحافظ على السر الذي ائتمنه عليه سيده. لكن قل لي، ياسانشو بانسو الطيب، ما الذي أتى بك إلى هنا وحدك؟

سانشو : لقد جئت لابنة أخت سيدي برسالة منه.

بيريس : لقد سافرت مع القس والحلاق...

سانشو : إنني أعرفه، مع نيقولاس.

نيقولاس : طبعا مع نيقولاس. يا له من إنسان رائع نيقولاس هذا!

سانشو : إنه ماكر جدا.

نيقولاس : طيب، طيب.

بيريس : مهلاً... إلى المدينة ليتنسموا أخبار الخال المفقود. وهل أتيت برسالة مهمة؟

سانشو : مهمة جداً، والمهم أنها مفرحة.

بيريس : ياسلام!

سانشو : إنها تتضمن الأمر بمنحي حمارتين مكافأة لي على خدمتي بإخلاص. (**ينقب في جيوبه**) آه! آه! آه!

بيريس : ماذا جرى؟

سانشو : يا لي من أبله تعيس! يالي من مغفل! يالي من بهيمة! يالي من خنزير! لأكن ملعوناً! (**يلطم وجهه**) خذ. خذ.

أنطونيا : ماذا جرى لك، أيها التابع؟

نيقولاس : ماذا جرى لك، أيها العنيد العزيز؟

سانشو : اقتلوني أيها السادة، أرجوكم، لأنني أجد حرجا في ضرب نفسي. لقد فقدت هذه الرسالة، وبالتالي فقد

فقدت الحمارتين. سافرت الليل بطوله وأنا أتخيّل كم ستفرح خوانا تيريزا، زوجتي، بهما. آه، ياحمارتي، ياحمارتي! كنت ارتجف فرحاً، كنت وكأنني أحس بكما بين يدي، كنت أداعب وبركما الناعم، لقد رأيتكما في زريبتي، من يصدق من دون هذه الرسالة أن سيدي قد وهبني هاتين الحمارتين فعلاً؟ لماذا لم تذبحني ياباندوفيلاندو بدلاً من تيناكريو الحكيم؟

بيريس : نعم، هذا سيئ.

نيقولاس : لسوف تضطر للتخلي عن الأمل بالحصول على الحمارتين **(يعزف على الجيتار)**

سانشو : توقف عن العزف. ماهذه العادة الفظيعة لديك؟ فما أن يحدث شيء قبيح حتى تتناول الجيتار.

بيريس : اطمئن، ياسانشو، فأنا أعرف من يمكن أن يساعدك. إنها الأميرة ميكاميكون طيبة القلب. يكفي أن تقول كلمة واحدة للقيمة حتى تكون الحمارتان بين يديك.

سانشو : وهل ستطيعها القيمة الشيطانية؟

بيريس : إنني أكفل لك هذا. لكن من الطبيعي أن تخبرنا بعد هذه الخدمة الكبيرة أين يختفي دون كيشوت.

سانشو : **(بعد أن فكر مليا)** سأخبركم.

أنطونيا : آه، يا للتابع الطيب! **(في النافذة)** سنيورا قيمة البيت. ياسنيورا قيمة البيت!

(بيريس ونيقولاس وسانشو يطلون من النافذة)

قيمة البيت : ماذا تريدين؟

أنطونيا : إليك الموضوع أيتها القيمة الغالية : اعملي معروفاً، وسلمي سانشو حمارتين بأمر من السنيور الونسو.

قيمة البيت : ماذا؟ ماذا؟ ماذا قلت؟ حمارتين؟

سانشو : أي نعم !

قيمة البيت : حتى لو انتزعوا مني روحي ما أعطيت هذا الوقح...

سانشو : أي نعم! ألم أقل لكم؟!

بيريس : **(بصوت منخفض من النافذة)** إذا كنت تودين رؤية السنيور ألونسو فعليك فوراً...

قيمة البيت : لهذا... لهذا... آه، ماذا قلت؟ لسانشو؟ بكل طيبة خاطر سأعطيه حمارتين. تعال هنا أيها الوغد... تعال هنا ياسانشو، افتح الزريبة، وخذ الحمارتين. ماهذا الذي يحدث عندنا أيتها السماء؟ **(تختفي)**

سانشو : يالفرحي! يالفرحي ويالفرحي أيضا! اعترف أنني لم أصدقك، أما الآن فقد اقتنعت أنك الأميرة ميكاميكون فعلاً.

بيريس : نعم، لكن لا تنس أن تقول لنا أين دون كيشوت.

سانشو : في شعب، في سيرا – مورينا.

أنطونيا : وماذا يفعل هناك؟

سانشو : لقد قرر الجنون في الجبال نتيجة قسوة دولسينيا التوبوسية، على غرار روتالاند وأماديس. لسوف أرشدكم إلى الطريق إلى هناك.

أنطونيا : لننطلق بسرعة، قبل أن تقع له مصيبة!

سانشو : اسمحي لي أن أقبلك، يا أخ تيناكريو الحكيم المحترم! (**يضم بيريس في أحضانه فتسقط لحية هذا**) آه، ماهذا؟ السنيور القس؟

نيقولاس : (**وهو يحتضن سانشو**) ماذا؟ من؟ أي قس تقصد؟ أي قس؟

(**بيريس يرتدي اللحية**)

سانشو : لقد نزلت على عيني غشاوة من شدة الفرح، وخيل إلي فجأة أن باندوفيلاندو قطع لحيتك وظهر القس بدلا منك! لكنني أرى الآن أن ذلك خيل إلي... يالفرحي! (**ينطلق إلى الفناء، يركض نحو الزريبة، يفتح بابها**) هاهما، هاهما غاليتاي! (**يصيح**)

لسبب ما لا تعزفين الآن على الجيتار، يادونيا المحترمة!

(نيقولاس يعزف على الجيتار. يسمع صوت العربة وهي تقترب)

أنطونيا : إلى سيرا – مورينا!

بيريس : إلى سيرا – مورينا!

(نهاية الفصل الثاني)

الفصل الثالث

اللوحة الخامسة

(لدى دون كيشوت. الوقت نهار. تقترب من باب السياج عربة ضخمة، يجلس فيها دون كيشوت مع أنطونيا وبيريس ونيقولاس، نيقولاس يعزف على الجيتار. من خلف العربة يبدو سانشو على حماره. روسينانتي يظهر في الأخير وقد ربط إلى سرج سانشو. قيمة البيت تندفع من المطبخ)

قيمة البيت : مرحبا، ياسنيور ألونسو. ساعة خير! ساعة خير! كم ابتهجت الأفئدة التي تحبك، لأنك تكرمت أخيرا وعدت إلى بيتك! آه، ياسنيور الونسو. ساعة خير!

دون كيشوت : مرحباً، ياقيمة البيت الطيبة جداً.

(أنطونيا وبيريس ونيقولاس يساعدون دون كيشوت، الذي يعرج قليلاً، في النزول من العربة. العربة تبتعد. سانشو يتجه نحو الاسطبل مع الحمار وروسينانتي)

اسمحي لي، أيتها الأميرة النبيلة، أن أقدم لك قيمة بيتي المحترمة.

أنطونيا : كم أنا سعيدة بذلك.

دون كيشوت : **(وهو يعرفهما)** دوينيا... قيمة البيت... إنني على ثقة أنكما ستحبان بعضكما من النظرة الأولى.

نيقولاس : لقد حلمت بهذا اللقاء. **(يعانق قيمة البيت)**

دون كيشوت : أرجوكم، أيها الضيوف الأعزاء أن تتفضلوا إلى بيتي.

(أنطونيا، بيريس ونيقولاس يذهبون إلى البيت وهم ينحنون)

لكن أين أنطونيا؟

قيمة البيت : إن أنطونيا في البيت ياسيدي، وهي الآن تستقبل هذه الأميرة، لا أعرف ما اسمها، وهذا الملتحي.

دون كيشوت : **(وهو يجلس على المقعد)** هس... هذا ليس ملتحيا، كما تعبرين، بل هو عم هذه الأميرة، وهو وجيه رفيع المقام، وإن كان في غاية التعاسة. إنني مازلت تحت انطباع مأساة أخيه، الملك الغيني الذي ذبحه باندوفيلاندو الأعور.

قيمة البيت : الله معه، أيها السنيور المبجل! طيب، ذبحوا هذا الغيني، فماذا نفعل؟ فأنت لم تبعثه؟ لقد ذبحت على شرفك أفضل دجاجتين سمينتين، لكي أطبخ لك الحساء، وستجني من هذا فائدة أكبر من فائدة الملك الغيني.

أنطونيا : (تندفع من البيت وهي في ثوبها العادي) كم أنا سعيدة بعودتك، ياخالي الغالي!

دون كيشوت : مرحبا، يا أنطونيا، هل اعتنيت بالأميرة كما يجب؟

أنطونيا : كيف لا ياخالي؟! هل تسمع فدوينيا تعزف في غرفتي؟

سانشو : (وهو يخرج من العنبر) نعم إنها تعزف ليهبها الخالق حمايته الأبدية! لكن إذا ماقام أحد المغاربة السحرة بسرقة قيثارتها إذن لكنت سعيدا! فهي تعزف في كل مناسبة وفي كل وقت.

دون كيشوت : إن طبعك جلف ياسانشو. لا يجوز ألاّ تحب الموسيقى. فحيث توجد الموسيقى لا وجود للشر.

سانشو : حتى الحمام المشوي يمكن أن يجعل المرء يمل، ياسيدي، إذا تناوله من الصباح حتى المساء. وفي بعض الأحيان أشعر بالرغبة بالقفز فوق السياج بسبب هذه الموسيقى. اسمح لي، ياسنيور، أن أغيب لبعض الوقت، فأنا أريد زيارة تيريزتي.

قيمة البيت : انصرف، انصرف، ياسانشو، فلا أحد يؤخرك.

دون كيشوت : اذهب، ياصديقي، لكن عد بسرعة.

قيمة البيت : (همسا) انصرف، ولا تعد إلى هنا بعد الآن. هل فهمتني؟

سانشو : لكن سيدي...

قيمة البيت : (همسا) لا تعد، إذا كنت لا تريد أن تفقد ماتبقى من لحيتك... هل تعرفني؟

سانشو : ومن لا يعرفك... يالها من كماشة وقعت بين فكيها! **(ينصرف)**

دون كيشوت : والآن هيا بنا إلى البيت يا أنطونيا. **(يذهب إلى البيت برفقة أنطونيا)**

(قيمة البيت تذهب إلى المطبخ. في الغرفة تقوم أنطونيا بمساعدة دون كيشوت في نزع درعه وخوذته، ثم تجلسه في المقعد. من الباب الداخلي يظهر بيريس في شكله العادي)

بيريس : مرحبا، ياعرابي العزيز، لقد عرفت أنا ومايئسي نيقولاس أنك عائد، فجئنا فورا لكي نعرب لك عن احترامنا.

دون كيشوت : كم أنا سعيد برؤيتك، أيها القس العزيز، ادعي أخا الملك إلى هنا ياأنطونيا! أريد أن أعرفه على السنيور بيرو بيريس.

أنطونيا : حالا، ياخالي. **(تقبل دون كيشوت)**

(في هذا الوقت ينسل بيريس إلى الغرف الداخلية)

سوف أناديه الآن ياخالي **(تنصرف إلى الغرف الداخلية)**

بيريس : **(وقد أطل من الباب ملتحياً)** سنيور دون كيشوت...

دون كيشوت : آ، صاحب السمو! أرجوك تفضل إلى هنا!

بيريس : **(في الباب)** لست بكامل ثيابي ياسنيور دون كيشوت.

دون كيشوت : لابأس، لابأس، فأنت مسافر، ولن يلومك أحد.

(بيريس يختفي)

تعرف على أخي الملك، أيها السنيور القس. عفوا، لكن أين القس؟ فقد كان هنا للتو. **(يذهب باتجاه أبواب الخروج)**

(بيريس من دون لحية يخرج من الأبواب الداخلية)

بيريس : إنني هنا ياسنيور دون كيشوت.

دون كيشوت : ما هذه العجائب؟! لقد أضعتك! هل غادرت إلى مكان ما؟

بيريس : ولم يخطر ببالي.

دون كيشوت : هيه.. إنني ازداد اقتناعا أن ثمة روحا شريرة في بيتي! أنطونيا، إلى أين ذهبت؟

أنطونيا : **(في زي الأميرة وفي القناع)** أرجو أن تعذرني، أيها الفارس المقدام، على تأخري.

دون كيشوت : اسمحي لي، ياأميرة ميكاميكون الساحرة، أن أقدم لك صديقي السنيور بيروبيريس.

بيريس : أنا سعيد يا أميرة.

أنطونيا : لقد سمعت عنك الكثير!

نيقولاس : **(في زي دوينيا)** وهذا أنا، أيها الفارس المقدام!

دون كيشوت : آ، أخيرا التأم شمل الجميع! آه، كلا، ينقصنا أخو الملك المبجل، والغريب الأطوار.

بيريس : سأحضره حالا. **(ينصرف إلى الغرف الداخلية)**

دون كيشوت : وأين ما يئسى نيقولاس؟

بيريس : **(في زي أخي الملك)** أخيرا ها أنا ذا.

(نيقولاس ينسل إلى الغرف الداخلية)

دون كيشوت : أريد أن أعرفك أيها السيد، أخو الملك، بصديقي: القس والحلاق. ما يئسي نيقولاس!

(نيقولاس يخرج في زيه العادي. أنطونيا تختفي خلف الستارة)

بيريس : إذن هذا هو الحلاق الفاضل، الذي حدثتني عنه الكثير! إنه كما تصورته تماما.

نيقولاس : أما أنا، بدوري، فقد بكيت بمرارة وأنا أصغي إلى الفظائع التي اقترفها باندوفيلاندو في مملكة أخيك!

دون كيشوت : أنطونيا، هلا جئت إلى هنا أخيرا!

أنطونيا : **(وهي تدخل في زيها العادي من خلف الستارة)** إنني هنا ياخالي.

(بيريس يختفي وراء مقعد دون كيشوت)

دون كيشوت : لقد أردت أن تسمعوا على لسان أخي الملك عن تلك المصائب التي أحاقت بالأسرة الملكية. أيها السنيور القس، اقترب أكثر من فضلك.

بيريس : **(وقد أطل من خلف المقعد دون لحية)** كلي آذان صاغية. **(يختبىء خلف الكرسي، ثم يطل بلحيته)** نعم لايزال هذا المارد القبيح يقف أمام عيني! **(يختبىء خلف الكرسي، ينزع اللحية، يقف أمام دون كيشوت)** ماهذا الذي تقول يا أخا الملك المحترم؟!

نيقولاس : **(لأنطونيا)** رحنا في داهية!

أنطونيا : **(لنيقولاس)** هات الساحر بسرعة. **(لدون كيشوت)** نعم، نعم... شيء فظيع ياخالي!

بيريس : **(وهو يخرج من خلف المقعد في لحيته)** الأفضل أن أزين قصتي أيتها السنيورة ابنة الأخ المحترمة إذا كانت تزعجك.

أنطونيا : آه، كلا، كلا، تابع.

دون كيشوت : نعم تابع، لكن أرجو من الجميع أن يجلسوا، وإلا علي أن اعترف أن عيني جهرت... **(نيقولاس ينسل إلى الغرفة المجاورة. بيريس يندفع نحو النافذة)**... حتى انني أحيانا لا أعرف من أمامي.

(خلف الكواليس تسمع قرقعة الأواني تتحطم. بيريس ينزل حصيرة النافذة، فيخيم الظلام في الغرفة)

ماذا جرى؟ ماهذا؟

نيقولاس : **(وراء الكواليس)** النجدة! الساحر هنا!

بيريس : النجدة!

دون كيشوت : **(يتناول سيفه)** أين هو؟

نيقولاس : **(مندفعا)** لقد اختطف الساحر الأميرة ميكاميكون أمام ناظري!

بيريس : وأين أخو الملك؟

أنطونيا : ودوينيا غير موجودة أيضا!

دون كيشوت : كان علي أن أتوقع هذا. لقد انشغلنا بالحديث فجاء الماكر على حين غرة، التابع إلي، فلنطارده.

بيريس : من دون فائدة، من دون فائدة، ياسنيور دون كيشوت. فليس بوسعك أن تحلق في الجو خلفه!

نيقولاس : لقد رأيته بنفسي يطير من فوق البيت في ردائه الأسود، وهو يجر أخا الملك من لحيته!

دون كيشوت : ولماذا لم تقطع له يده؟

نيقولاس : جاءت الضربة طائشة.

دون كيشوت : آه، لن أغفر لنفسي هذا! أين كان الحرس؟ هاتوا لي الترس والحصان.

أنطونيا : أتوسل إليك أن تهدأ ياخالي!

دون كيشوت : كانت الأميرة في عهدتي. دعوني أمر، لقد أصابكم الخوف، أما أنا فلا أخافه، ولسوف ألحق به، حتى ولو طار في الجو بسرعة الريح. دعوني. (**يسقط السيف، يتهاوى في المقعد**)

أنطونيا : ماذا بك، ياخالي؟!

دون كيشوت : آه، تفتقت الجروح... لقد أصابني العجز فجأة. لقد سحرني...

أنطونيا : اصغ، ياخالي، إلى صوت ابنة أختك التي تحبك، إنك بحاجة لأن تتقوى وترتاح. اصغ إلي ياخالي الغالي!

بيريس : اصغ إلينا، ياسنيور الفارس، ارقد في الفراش، فالنوم الفاضل يقويك.

دون كيشوت : نعم.. لست بقادر الآن على التحرك قيد أنملة، فالسحر قيدني كأنني في الأغلال.

(أنطونيا وبيريس يقودان دون كيشوت نحو السرير ويرقدانه)

أنطونيا : **(وهي تحرك الستارة)** لقد غفا. مسكين، مسكين، ياخالي!

بيريس : لاداعي لليأس ياسنيورا ابنة الأخت، فمن شأن النوم أن ينعشه، وقد يكون أكثر اطمئنانا حين يستيقظ. فلنذهب، يامايئسي نيقولاس. وداعا، سنيورا ابنة الأخت. سنأتي لزيارته مساء.

أنطونيا : وداعاً، أيها السنيوران.. من كل قلبي أشكركما على كل مافعلتماه لخالي.

بيريس : لم نقم إلا بواجبنا. **(ينصرف مع نيقولاس)**

(أنطونيا تنزل إلى المطبخ. بعد قليل يظهر من باب السياج المؤدي إلى الطريق، سانسون كاراسكو).

سانسون : ها هو ذا فنائي الحبيب. منذ عامين وأنا غائب عن مسقط رأسي، ولم يتغير أي شيء خلال فترة غيابي... فها هو المقعد الذي كنت أجلس عليه مع أنطونيا منذ عامين... من في البيت؟ ردوا..

(تدخل قيمة البيت وأنطونيا)

أنطونيا : آه!

قيمة البيت : معقول أنه هو؟

سانسون : أنا، أنا ياسنيورا قيمة البيت العزيزة.

قيمة البيت : يا إلهي العادل، من كان يخطر له أن ابن بارتولوميو كاراسكو، الفلاح البسيط، سيصبح عالماً وسيداً هاماً! آه ياسانسون، لم تعد الآن في متناول اليد!

أنطونيا : على الأرجح أنك لن ترغب الآن في معرفتنا، ياسانسون أقصد سنيور كاراسكو.

سانسون : لقد أصبت في شيء واحد، أيتها القيمة المحترمة! أنت محقة في أمر واحد فقط : لقد أصبحت عالما فعلا، فأمامكما مجاز جامعة سلمنقة، ولدي أربع درجات علمية، وأنا مزدان بسعف الغار. لكنني، أيتها القيمة، لم أصبح مهماً، كلا، وللبرهان على ذلك اسمحي لي بمعانقتك.

قيمة البيت : آه، ياسانسون، كم يزغرد قلبي لأن العنجهية لم تتملكك، ومازلت لطيفا مع أبناء قريتك!

سانسون : لكم أصبحت جميلة، يا أنطونيا، كلا، كلا، فالعنجهية غريبة علي، حتى ولو كنت مجازا عشرين مرة! **(يعانق أنطونيا)**

أنطونيا : سنيور مجاز!

قيمة البيت : آه، ليس في هذا مايشين، فهو ليس بغريب، إنه من قريتنا. وقد أرضعتكما الأرض نفسها، وبالشمس نفسها تدفأتما.

سانسون : كلا، إن روحي تضطرب لأنني في قريتي الأم من جديد، وبشكل خاص لأنني أراك، يا أنطونيا! **(يندفع لكي يعانق أنطونيا، لكن هذه تتملص فيعانق قيمة البيت)** وأنت، أيتها القيمة المحترمة! **(يمد يده لأنطونيا. يقبل يدها)** لقد رأيتك في المنام مرات عديدة.

قيمة البيت : وأنا رأيتك، ياسانسون العزيز!

سانسون : وأنت، ياأنطونيا، هل لديك ذرة من الفرح بمجيئي؟

أنطونيا : إنني مسرورة... مسرورة...

قيمة البيت : وأنا مسروة...

(فجاة تنخرط الاثنتان في البكاء)

سانسون : لم يسبق لي أن رأيت أن السرور يعبر عنه بالكباء! ماذا بكما؟

أنطونيا : لقد جن خالي.

سانسون : ماذا تقولين؟!

قيمة البيت : الكتب اللعينة خيمت على عقل أذكى وأطيب سنيور.

أنطونيا : ارتدى الدروع الصدئة، وغادر البيت لكي يقاتل المردة، وينقذ الأميرات، واعتمر طاسة الحلاقة، وراح يلوح بسيفه... وقد خيم على عقل جارنا سانشوبانسا، وسماه تابعا له، وقد انطلق هذا برفقته. وبالكاد استطعنا أن نعيده بالحيلة. ان سانسون جائع، على الأرجح، ياسنيورا قيمة البيت، ما رأيك في أن تطعمي ضيفنا؟

قيمة البيت : كيف لا يأكل وقد جاء إلى أهله وأقربائه؟ لن يلبث الطعام أن يصبح جاهزا. **(تنصرف إلى المطبخ)**

سانسون : لقد تركت مصيبتك أثرا عميقا في ياعزيزتي أنطونيا!

أنطونيا : لقد كنت دائما ذكيا، أما الآن فقد أصبحت عالماً أيضا. لو أنك تجد طريقة نتخلص بها من المصيبة إذن لأوسعتك تقبيلا، ياسانسون!

سانسون : ماذا قلت؟ لأوسعتني تقبيلاً؟ تعرفين، عندي خطة، هيا قبليني، يا أنطونيا.

أنطونيا : هل تقول الصدق؟

سانسون : لم يسبق لي أن اشتهرت بالكذب في قريتنا يا أنطونيا.

أنطونيا : إنني واثقة أنك لن تخدعني ياسانسون! **(أنطونيا تقبل سانسون، وفي اللحظة نفسها يبدو رأس سانشو فوق السياج)**

سانسون : آه، ليأخذني الشيطان! إن هذا سانشو!

أنطونيا : هو بعينه.

سانسون : إن خطتي تنضج. اتركينا وحدنا يا أنطونيا.

أنطونيا : طيب، طيب، إنني أثق بك ياسانسون.

(تلتفت إلى باب المطبخ) سانسون...

سانسون : قبليني مرة أخرى يا أنطونيا!

(من جديد يظهر رأس سانشو فوق السياج)

أنطونيا : فيما بعد. **(تختفي)**

سانسون : مابالك تستحي أيها المبجل؟ ادخل مادمت جئت.

سانشو : هل الصل هنا؟

سانسون : من تقصد؟

سانشو : ومن يمكن أن يقصد بهذا القول؟ قيمة البيت بالطبع.

سانسون : إنها في المطبخ.

(سانشو يدخل حماره، ويتركه في الركن)

أهذا أنت، ياسانشو بانسا المحترم؟

سانشو : إن لم تكن هذه مقالب الساحر النجس فريستون فإن أمامي سانسون، ابن ضيعتنا، ابن بارتا لوميو العجوز.

سانسون : ..لتنجنا السماء من السحرة، هذا أنا.

سانشو : ليأخذني الشيطان، أنت المجاز سانسون! **(يقبله)**

سانسون : ..قل لي، ياجارنا العزيز، أين اختفى النصف الثاني من لحيتك؟

سانشو : في منزل المشنوق لا يتحدثون عن الحبل، ياسنيور كاراسكو، أم أنكم لم تأخذوا هذا بعد في جامعتكم؟ إن شاء الله يخشخش في جيبك من القطع النقدية بعدد خصل الشعر التي نتفت من لحيتي خلال الأسبوع الأخير!

سانسون : هذا شيء محزن، ياسنيور بانسا، ولكني آمل أن تطلق لحية جديدة، وستكون أغزر من سابقتها.

سانشو : وأنا بدوري أتمنى أن يكون علمك بغزارة لحيتي الجديدة.

سانسون : هيه، كم أنت ماهر في إجابتك! ترى ألم تدرس بدورك في سلمنقة؟

سانشو : لا حاجة بي للدراسة في سلمنقة، فمن دون هذا آمل بالحصول على منصب محافظ في المستقبل القريب.

سانسون : كيف؟ علمني. فأنا بدوري أريد أن أصبح محافظاً.

سانشو : مهما علمتك فإن هذا لن يجديك. من أجل هذا يجب أن تصبح تابع الفارس العظيم دون كيشوت اللامانشي!

سانسون : نعم، إن الجنون يعدي كما أرى الآن.

سانشو : ماذا قلت؟

سانسون : لقد قلت هذا جانباً.

سانشو : لقد قلت هذا من ناحيتي.

دون كيشوت : (يستيقظ) سانشو. تعال إلي.

سانشو : سامع؟ إن سيدي يناديني.

سانسون : جيد جدا. قدني إليه ياسانشو. **(يدخل البيت مع سانشو)**

سانشو : جاءك ضيف ياسنيور.

دون كيشوت : إنني مسرور جداً.

سانسون : اسمح لي، ياسنيور دون كيشوت اللامانشي، أنا أحييك! لقد انتشرت شهرتك فوصلت آذان خادمك المطيع، وابن قريتك المتواضع المجاز سانسون كراسكو.

دون كيشوت : هل أنت ابن بارتولوميو كراسكو؟

سانسون : بالضبط، إنه أنا، ياسنيور.

دون كيشوت : لكم أنا سعيد برؤية ابن قريتي لدي، وهو الذي بلغ هذه الدرجة العلمية الرفيعة.

سانسون : إنني سعيد أكثر بالحلول ضيفا على الفارس ذي المآثر التي طبقت شهرتها المنطقة بأسرها.

دون كيشوت : اجلس، أيها السنيور المجاز. لقد زرتني في الوقت الذي أحاقت بي فيه مصيبة فظيعة.

سانسون : إنك تثير حزني ياسنيور.

دون كيشوت : للتو اختطف عدوي الأبدي الساحر الماكر فريستون – ولاداعي لأن تحدث العالم عنه، فقد قرأت عنه مئة مرة بالطبع – الأميرة اليتيمة، المسكينة ميكاميكون، وعمها الرائع ملكي النسب ودوينيا دولاريدا الذين كانوا تحت حمايتي!

سانشو : (يائسا) ابن دارايس دى فارغاس!.. لتحل علي وعلى ذوي اللعنة! (**يقذف القبعة**)

دون كيشوت : إنك ترى، ياسنيور مجاز، إن هذا الخبر قد قاد إلى اليأس حتى هذا الطبع القاسي، اعترف بهذا.

سانشو : وكيف لا أقع في اليأس مادام منصب المحافظ قد فلت من يدي، بينما كنت قد أمسكت بيدي ذيل رداء المحافظة، كنت أحلم بدحرك لقوات المارد، وانتقال المملكة إلينا.

دون كيشوت : هذا ماحدث ياسنيور مجاز.

سانسون : إن هذا كله يدهشني لكن ماذا تنوي أن تفعل الآن؟

دون كيشوت : لسوف انطلق لمطاردته فوراً!

سانسون : وهل قرارك هذا لا يقبل النقاش؟

دون كيشوت : وهل يسأل مثلك هذا السؤال يامجاز؟

إن هذا واجب الشرف بالنسبة لي!

سانشو : شيء طبيعي، فأنت لست يانجواس.

سانسون : ماذا؟

سانشو : لا شيء... إنها قصة لا تستحق أن تروى... خمسة عشر رجلا يضربون اثنين بأي شيء، وينتفون نصف لحيتي.

سانسون : يا إلهي!.. (**لدون كيشوت**) لكن أين تنوي البحث عن هذه الأميرة وخاطفها؟

دون كيشوت : أحد السحرة الأخيار أرسل لي مناما يقنعني بأن الشرير قد اتجه شمال شرق، إلى أملاك الدوق. وإلى هناك سأنطلق بدوري، سانشو هات الدرع!

(سانشو يبدأ إلباس الدرع والخوذة لدون كيشوت)

سانسون : قل لي، ياسنيور، ماذا لو أن القدر كان ضدك، وتمكن أحد خصومك من قهرك؟

دون كيشوت : طيب، إذا ما قهرت في المبارزة فلسوف أقبل شروط خصمي تماما كما يقبل شروطي في حال انتصاري.

سانسون : انطلق حالا، أيها الفارس دون كيشوت!

دون كيشوت : سنيور مجاز، إنك إنسان تفهم مسائل الشرف مثلي! سانشو، الحصان!

(يخرج إلى الفناء. من المطبخ تخرج قيمة البيت تحمل صحناً، وأنطونيا).

قيمة البيت : يالمصيبتي! السنيور ألونسو يرتدي الدرع من جديد، وهذا الحرض السمين يخرج حماره، لو تنكسر أقدامه الأربع كلها...

سانشو : سنيورا قيمة البيت... أرجوك بحرارة... **(يخرج من البوابة برشاقة)**

دون كيشوت : وداعا، يا أنطونيا، وداعا ياسنيورة قيمة البيت!

قيمة البيت : يا للحياة التعيسة! من جديد انفتحت أمامه بوابة الجنون، وهو يرتمي فيها كي يهلك مغمض العينين!

أنطونيا : ماذا تفعل، ياسنيور ألونسو، عد إلى رشدك ! سانسون، لقد وعدتني، اثنه عن عزمه.

دون كيشوت : (في السرج) كيف؟ هل يمكن، ياسنيور مجاز، أن تثنيني عن عزمي في القيام بما يقتضيه الشرف؟

سانسون : أبدا، انطلق، أيها الفارس دون كيشوت اللامانشي، أتمنى لك التوفيق بحرارة!

دون كيشوت : وداعا، يا أولادي المخلصين! إنني أعرف أنكم تحبونني، لكن لا تؤخرونني أكثر، ولا تحزنوا علي! (ينطلق)

قيمة البيت : بأية كلمات يمكن أن أدفع لك، يامجاز، على موقفك من مصيبتنا! إنك بيديك تدفع المجنون المسكين إلى البوابة. يبدو أن العلم التهم الشرف الأخير لديك، وأنت لم تكتف بأنك لم تتعاطف مع الفقراء الذين أصابتهم مصيبة، بل إنك سخرت منهم أيضا!

سانسون : لا تتسرعي في إدانتي قبل أن تسمعي كلامي!

قيمة البيت : لا أريد الإصغاء إليك. لتحل اللعنة على جامعتك السلمنقية! **(تندفع عبر البوابة في إثر دون كيشوت)** سنيور ألونسو. أحلفك بكل القديسين أن تتوقف!

سانسون : أنطونيا!..

أنطونيا : لا تقترب مني ياسانسون. فلا أصدق عيني ولا أذني. هل يعقل أنك أردت التسبب في الشر لنا عمدا؟ قل لي ما السبب؟ ماذا فعلنا لك نحن الفقراء؟

سانسون : أنطونيا!

أنطونيا : أعرف، إنه الجبن، لإرضاء السنيور ألونسو، فبدلا من إيقافه دفعته بنفسك إلى تهور جديد! لقد خدعتني ياسانسون.

سانسون : .. اخرسي! أنا جبان؟ لسوف ترين، يا أنطونيا، أي جبان أنا، ولسوف تندمين بمرارة على كلماتك هذه! فقد سبق وقلت لك، أيتها الفتاة الطائشة، إنني أريد إنقاذه، ولسوف أنقذه.

أنطونيا : لم أعد أصدقك!

سانسون : كوني عاقلة، يا أنطونيا، ولا توجهي لي الأهانة! سوف ألحق به، وأعيده إلى البيت وإلى الأبد! وإذا لم أتمكن

فإنني لن أعود أبداً. سيكون هذا محزنا يا أنطونيا، لأنني طرت إلى البيت هنا. كي أراك! طيب! إذن فلن أراك بعد الآن. لا وقت لدي الآن للحديث، أخاف أن أفقد أثره. وداعاً يا أنطونيا. (**ينطلق خارجا**)

أنطونيا : سانسون! سانسون! إنني أصدقك. قل لي ماذا تنوي أن تفعل؟

سانسون : (**من بعيد**) لن أقول...

قيمة البيت : (بعيدا) سنيور ألونسو، توقف!

اللوحة السادسة

(الوقت نهار. صالة في قصر الدوق)

الدوق : **(يدخل)** تعالوا إلي! إلى هنا!

(تتراكض الحاشية)

الآن سيحل علينا في الحصن ضيف. ذلك الفارس المجنون نفسه الذي يلقب نفسه دون كيشوت اللامانشي ومعه تابعه. استقبلوه بالمراسم اللائقة، بحيث لا يتجرأ أي كان على أن يظهر الشك في أنه فارس متجول. **(لمدير القصر)** أما أنت **(للدكتور أغويرو)** وأنت فأرجوكما أن تتوجها إلى الحصن خارج المدينة، وأن تعدا كل شيء لاستقبال التابع بصفته محافظ، قولا له إنه في جزيرة باراتاريا. بعد عدة أيام سأجيىء أنا والدوقة لننظر إلى غرائبه.

مدير القصر : سمعا وطاعة ياصاحب السمو.

(الدكتور أغوريرو ومدير القصر ينصرفان برفقة عدد من الخدم. تبقى دوينيا رودريغيس، وعدد من الدوينيات والخدم. صوت أبواق. تظهر الدوقة، تعطي صقرها للخادم. في أعقاب الدوقة يدخل دون كيشوت وسانشو)

الدوقة : على الرحب والسعة في منزلنا، أيها الفارس دون كيشوت!

دون كيشوت : (لدى الباب) بعدك، ياصاحبة السمو!

(سانشو أول من يدخل)

سامحي هذا الجاهل، أيتها الدوقة، واسعة الصدر!

الدوقة : لا تقلق، ياسنيور، فبساطته وعدم تصنعه محبوبان.

الدوق : إنني سعيد، ياسنيور دون كيشوت، لسوف تستقبل الاستقبال اللائق بالفرسان.

دون كيشوت : إنني سعيد، ياصاحب السمو. **(لسانشو)** إذا ماأخجلتني مرة أخرى، أيها الأبله الدائم، أيها البهلول، إذن لأقطعن رأسك!

سانشو : وهل تصرفت بشكل غير لائق، ياسنيور؟ أعد أن أكون في المستقبل في منتهى التأدب، وإذا ما حدثت هفوة ما، فلن يكون الذنب ذنبي على كل حال.

دون كيشوت : اخرس.

الدوق : تفضل، أيها الفارس، إلى هذه الغرفة لتغتسل بعد السفر.

(الدوقة تنصرف)

ساعد سيدك، ياسانشو.

سانشو : بعدك، ياصاحب السمو (**يخاطب دوينيا رودريغيس**) ياصاحبة المعالي، لقد بقي حماري هناك عند البوابة. أوعزي بنقله إلى الاسطبل، والأفضل أن تفعلي ذلك بنفسك، فأنا لا أأتمن أحدا عليه. لكن خذي بعين الاعتبار أنه شديد الخوف.

رودريغيس : هل فقدت عقلك!

سانشو : أنا؟ كلا. فقد حدثني سيدي أن الأسياد كانوا يهتمون بالفارس لانساروت، بينما كانت الدوينيات تهتم بحصانه، صحيح أنني جئت على حمار، لكنه، والله، يساوي أي حصان!

رودريغيس : يا لها من ورطة! فقد جاءنا إلى الحصن حمار يمتطيه حمار آخر! أنا، دوينيا رودريغيس، أقود الحمار إلى الاسطبل؟(**تشير لسانشو بقبضة يدها**)*

سانشو : إذن هكـــذا؟ طيب (**لدون كيشوت**) مهـــلا، ياسنيور، لا تنصرف. (**بصوت منخفض**) للتو قامت هذه العجوز بعرض قبضتها علي.

دون كيشوت : إنك تكذب، أيها الوقح !

سانشو : لقد قلت لك الحقيقة، ياسنيور، فبماذا تأمرني؟ هل أترك هذه الإهانة فلا أرد عليها؟

---

* الإشارة المقصودة في النص هي إبراز إصبع الإبهام بين السبابة والوسطى، وتسمى بالروسية «فيك»، وتعني أن من توجه إليه الإشارة لن يحصل على شيء مما يطلبه (المراجع)

دون كيشوت : هل أقسمت على انتزاع رأسي مني، أيها الشقي؟

الدوق : ماذا جرى، ياسنيور دون كيشوت؟

دون كيشوت : آه، لا تصغ إليه، ياصاحب السمو!

سانشو : كلا، وكيف لا يصغي؟ (للدوق) لقد عرضت علي قبضتها.

الدوق : رودريغيس؟ إنها ذات طبع سيىء. طيب اعرض عليها قبضتك.

سانشو : بالطبع، لأنني شعرت بالإهانة!...

دون كيشوت : يا صاحب السمو!...

الدوق : لا بأس، لا بأس، هيا بنا لتغسل وجهك، يادون كيشوت. **(يخرج مع دون كيشوت)**

سانشو : **(لرودريغيس)** هاك واحدة بواحدة.

رودريغيس : آه!.. آه!.. آه... **(تنطلق هاربة)**

(سانشو يخرج في أعقاب دون كيشوت. موسيقى. الحاشية تقدم الخمر. بعد بعض الوقت يعود دون كيشوت والدوقة والدوق ويجلسون إلى المائدة. سانشو يقف بجوار كرسي دون كيشوت. يدخل عراب الدوق، يجلس بعيدا)

الدوقة : اخبرنا، يادون كيشوت، هل مضى زمن طويل على تلقيك الأخبار عن دولسينيا التوبوسية الرائعة الساحرة؟!

دون كيشوت : آه، ياصاحبة السمو، ان مصائبي لا نهاية لها! فقد تغلبت حتى الآن على أكثر من مارد، وأرسلتهم جميعاً لتقديم فروض الطاعة لها، لكنهم لا يستطيعون العثور عليها، لأن القوى السحرية الشريرة حولتها إلى فلاحة بسيطة قبيحة.

الدوق : هذا محزن.

رجل الدين : ماذا أسمع؟ (للدوق) لسوف تسأل عن هذا، يا صاحب السمو، يوم القيامة. فهل تشجع هذين المجنونين على الغواية المبتذلة؟ (لدون كيشوت) وأنت؟ كيف استطعت أن تحفر في رأسك أنك فارس متجول، قاهر المردة وآسرهم؟ توقف عن التطواف عبر العالم، وأنت تبتلع الريح، وتكون مسخرة للناس الأخيار! تخل عن جنونك، عد إلى بيتك، علم أولادك ان كان لديك أولاد، اعتن بأملاكك. أين رأيت في إسبانيا فرسانا متجولين، مردة وأميرات ساحرات؟ أين كل هذه السخافات التي بها تضحك الناس؟

الدوق : انتظر، أيها الأب الطاهر!

الدوقة : أتوسل إليك، أيها الأب الطاهر...

دون كيشوت : كلا، ياصاحب السمو، اسمح لي أنا بالرد عليه! (لرجل الدين) ليكن في علمك أن وجودي في ضيافة الدوق، ومرتبتك أيضاً هما اللذان يكبتان غضبي، وإلا كانت عاقبتك وخيمة. طيب، لسوف أجابهك بسلاحك نفسه أي باللسان. قل لي على أي من أنواع جنوني تلومني أكثر، وتأمرني بتعليم الأولاد الذين لم أرزق بهم أبداً؟

أنت تعتبر الإنسان الذي يطوف العالم بحثاً عن الصدام، لا الملذات مجنوناً، ويهدر وقته عبثاً. الناس يختارون دروباً مختلفة. فبعضهم يرتقي متعثراً درب الخيلاء، وآخر يزحف على درب التزلف الذليل، وآخرون يسلكون درب الرياء والخداع. فهل أنا أسير في أي من هذه الدروب؟ كلا. إنني أسلك درب الفروسية شديد الانحدار، واحتقر خيرات الدنيا، لكن لا الشرف! لمن انتقمت وأنا أخوض المعركة ضد المردة الذين أثاروا حنقك إلى هذا الحد؟ لقد دافعت عن الضعفاء الذين ضامهم الأقوياء، وكنت، إذا ما رأيت شراً في مكان ما، أخوض غمار المعركة القاتلة لكي أسحق غيلان الشر والجرائم. وأنت لا تراهم في أي مكان. إن نظرك ردىء، أيها الأب الطاهر، إن هدفي نبيل وهو أن أعمل الخير للجميع وألاّ أسبب الشر لأي كان. وعلى هذا استحق اللوم برأيك؟ لو أن الفرسان اعتبروني مجنونا إذن لبلغت الإهانة قرارة روحي، لكنني لا أقيم لكلامك وزناً، إنه يبدو لي مضحكا!

سانشو : قول رائع، قسما بالمحافظة التي سيستولي لي عليها سيدي!

رجل الدين : (لسانشو) ثب إلى رشدك، أيها المجنون التعيس! بأية محافظة تحلم أيها الجلف الجاهل؟

سانشو : (بصوت منخفض لدون كيشوت) سنيور، لقد شتمني!

الدوق : أو، كلا، كلا، إنك تخطىء في هذا، أيها الأب الطاهر! فأنا في حضرة الجميع أعلن أنني أعين التابع سانشو بانسا محافظ جزيرة باراتاريا التابعة لأملاكي.

الدوقة : إنني في غاية الإعجاب بتصرفك، أيها الدوق!

سانشو : (لرجل الدين) هاك أي جلف جاهل أنا! آه، كم أنا آسف أنها ليست هنا، زوجتي خوانا تيريزا، إذن لتجمدت من الفرح.

دون كيشوت : اعرب عن امتنانك، يا سانشو، للدوق النبيل على تحقيق آمالك المنشودة أخيراً!

رجل الدين : الآن أرى، ياصاحب السمو، أنك تبدي من الجنون نفس مايبديان. ولما كانت سلطتي لا تخولني تغيير تصرفاتك، ولا أنوي تقريعها عبثاً، فإنني انسحب (ينصرف).

الدوقة : (لدون كيشوت) لقد أجدت في ردك على رجل الدين، ياسنيور. الجميع يرى أن سخطه كان طائشا.

الدوق : فعلاً، هيا انطلق، ياسانشو، إلى الجزيرة التي ينتظرك سكانها كما ينتظرون مطر أيار.

دون كيشوت : اسمح لي، يا صاحب السمو، أن أعطيه بعض النصائح لكي يتمكن في منصبه الرفيع الجديد من تجنب الخطوات الخاطئة.

الدوق : إنها فكرة جيدة يا سنيور.

الدوقة : سوف ننصرف ونترككما وحدكما.

(ينصرف الجميع باستثناء دون كيشوت وسانشو)

دون كيشوت : اصغ إلي باهتمام، ياسانشو، إنني متأثر وروحي مندهشة. فعلى حين غرة حصلت على ما يبذل البعض جهوداً هائلة للحصول عليه، ولا يتورع بدافع الخيلاء، أو الجشع، عن اللجوء إلى شتى أنواع الوسائل التي غالبا ما تكون غير نزيهة، وقد يحصل أنه مع ذلك لا ينال مبتغاه. لقد قلت لك هذا لكي لا تنسب السعادة التي سقطت عليك إلى خدماتك الشخصية، ولكي لا تنتفخ كما الضفدعة، ولتتجنب السخرية منك، وقد يكون التلفيق الشرير الذي لا ينقذ منه حتى أعلى المراتب. افتخر، ياسانشو، بأنك فلاح بسيط، ولا تعتبر الاعتراف بذلك لأي كان إهانة لا داعي للبرهان لك على أن الإنسان الفقير إذا كان شريفاً، أفضل من الخاطىء والوغد النبيل. لا تتبرأ من منبتك ولا من ذويك. ماذا أردت أن أقول أيضاً؟

آه، أجل. لسوف تحكم بين الناس. هذا صعب ياسانشو. اصغ إلي ولاتنس شيئاً. حين ستحكم لا تلجأ إلى التعسف. هل حفظت هذا؟

سانشو : حفظته، ياسنيور.

دون كيشوت : ابحث عن الحقيقة في كل مكان دون كلل، ولتكن دموع الفقير أكثر تأثيراً بك من تأكيدات الغني، ومن وعوده بشكل خاص. ليكن القانون منطلقك، لكن تذكر إذا ما كان هذا القانون صارماً فلاتحاول هرس المدان بكل ثقله! واعرف أن شهرة القاضي الصارم ليست أقوى من شهرة القاضي الرحيم، كل شيء يمكن أن يحدث في المحكمة. فمثلا قد يمثل عدوك أمامك. فماذا عليك أن تفعل في هذه الحالة؟ يجب أن تنسى فوراً ما ألحق بك من ضيم، وأن تحاكمه وكأنك تراه لأول مرة في حياتك. وقد يصدف، ياسانشو، أن صولجان القضاء يهتز في يد القاضي، وإذا ماجرى لك هذا فلا يخطر ببالك أن تميله لأن أحداً ما همس لك بشيء، ودس كيساً رناناً في قلنسوتك. تذكر هذه الأخيرة بشكل خاص، ياسانشو، إذا كنت لا تريد أن احتقرك. إذا ماصدف، وأملت صولجان القاضي وأنت خائر العزم، فليكن ذلك بسبب التعاطف فقط!

ماذا يمكن أن أقول لك أيضا؟ لا تكن سليطاً مع الساقطين، وأرجوك، ياسانشو، أن تتوقف عن الثرثرة، وليكن في علمك أن الثرثرة قد تقودك إلى المشنقة، و... كن أنيقاً. إذا مانفذت نصائحي هذه كنت سعيدا في وضعك الجديد. هل فهمتني؟ هل فهمتني يا ترى؟

سانشو : لا تعذب روحك أكثر، يا سنيور، فقد فهمتك.

دون كيشوت : انظر في عيني، انني أصدقك. طيب، فلنودع بعضنا. لن نلتقي بعد الآن، فقد افترق دربانا، سوف ارتاح هنا، في حصن الدوق، ثم انطلق إلى حيث يقودني واجبي.

سانشو : ايه، يا سيدي...

دون كيشوت : مابالك تتأوه؟

سانشو : إنني أفكر كيف ستكون من دون تابع؟

دون كيشوت : سوف أعثر على أحد آخر.

سانشو : هل يرضى أحد بالذهاب معك، هذه هي المسألة! هل تعرف، ياسنيور، بماذا أنصحك؟ أن تعده بجزيرة أيضاً. كان بودي أن أبقى معك، لكن...

دون كيشوت : كلا، كلا، انني أفهم جيداً.

سانشو : واسمح لي، ياسنيور، أن أعطيك عدة وصايا وأنا أودعك. ماذا أردت أن أقول لك؟ نعم. إن قلبي يحدثني أنك ستُضرب ياسنيور. ولذا فحافظ أثناء العراك على رأسك بشكل خاص، لا تضعها تحت الضرب. فهي لديك ممتلئة بالأفكار الذكية جداً، وإنه لشيء مؤسف أن تتناثر كما قدر الفخار. دع العصي تتنزه على جانبيك، ضلع أو ضلعان.. بسيطة. وماذا أيضاً ياسنيور؟ نعم لقد بقيت لديك زجاجة من بلسم فيرابراس، اسكبها، ياسنيور، إلى الشيطان، لأنه إذا لم تقتل في المعركة قتلك هذا البلسم على الأرجح. نفذ وصاياي، ياسيدي، كن سعيداً في وضعك الجديد. ولسوف اشتاق إليك كثيراً.

دون كيشوت : شكراً لك، لأنك أوليتني اهتمامك. وداعاً وانطلق!

(تتردد أصوات الأبواق، الأبواب تفتح على مصاريعها، تظهر الدوقة والدوق، والخدم يحملون بذلة المحافظ)

اللوحة السابعة

(صالة في حصن الدوق الريفي. عرش القاضي. سرير تحت مظلة. تسمع الأبواق. سانشو في زي المحافظ يدخل برفقة الحاشية ويجلس)

مدير القصر : أيها السنيور المحافظ! منذ العهود الغابرة وفي جزيرتنا توجد عادة مفادها أن على المحافظ الجديد، وهو يتسلم مهامه، أن يحل على الملأ قضيتين - ثلاثا من القضايا المعقدة، لكي يعرف الناس ما إذا كان المحافظ الجديد ذكياً، أم أنه أبله أخرق لا فائدة منه، ولكي يعرفوا من هنا ماذا يفعلون. هل يفرحون أم يستسلمون لليأس حالاً.

سانشو : هات قضاياك.

مدير القصر : حاضر، يا صاحب السمو!

(يدخل عجوزين متظلمين. الثاني يحمل عصاً بيديه)

سانشو : ماذا تقولان، ياصديقي؟

العجوز الأول : لقد أقرضته، ياصاحب المعالي، عشر قطع ذهبية، وحين حل الموعد طلبت منه ردها إلي. وحينذاك أجاب

أنه أعطاني إياها. لكن في الحقيقة هذا ليس صحيحا، ولا شهود لدي، ومهما ذهبت إلى الحاكم لا استطيع أن أفعل شيئاً لأنه يؤكد مقسما أنه أعاد إلي هذه النقود. فخلص لي حقي، أيها السنيور المحافظ.

سانشو : (للعجوز الثاني) هل أقرضك عشر قطع ذهبية؟

العجوز الثاني : أقرضني، ياصاحب المعالي، أقرضني، لكني رددتها إليه.

العجوز الأول : إنه يكذب، ياصاحب المعالي، فلم يردها إلي أبدا.

العجوز الثاني : كلا، فهو من يكذب، لقد رددت إليه النقود كاملة.

سانشو : (للعجوز الثاني) وهل أنت مستعد لأن تقسم على ذلك؟

العجوز الثاني : مستعد في أية لحظة.

سانشو : حسناً، أقسم.

العجوز الثاني : (للعجوز الأول) اعمل معروفاً، ياجار، وامسك لي هذه العصا.

(العجوز الأول يأخذ العصا)

(وقد أمسك بصولجان سانشو) اقسم أنني رددت له القطع الذهبية العشر التي اقترضتها منه.

العجوز الأول : مابال السماء لا تنزل به العقاب؟

(العجوز الثاني يمد يده لكي يأخذ العصا من الأول)

سانشو : كلا ياصديقي، لقد قلت الحقيقة حين أقسمت، لكن فلتبق العصا لديه إلى الأبد.

العجوز الأول : لكن هل تساوي عشر قطع ذهبية، ياصاحب المعالي؟

سانشو : تساوي. تساوي، وإلا فإن لدي طوباً بدل المخ! فلتكسر هذه العصا الآن.(**يكسرون العصا، فتتدحرج النقود منها)**

العجوز الأول : نقودي! يا أكثر المحافظين حكمة!

العجوز الثاني : **(وهو يركع)** اعف عني، أيها السنيور المحافظ.

سانشو : انصرف، أيها النصاب المحتـــال! لكن تذكر أنه إذا ما خطر ببالك أن تكيد مرة أخرى لأحد ما فسوف تكون عاقبتك وخيمة!

العجوز الأول : أيها المحافظ العظيم!

مدير القصر : أيها المحافظ العظيم!

الحاشية : أيها المحافظ العظيم!

(العجوزان ينصرفان. تظهر امرأة ومن خلفها مربي خنازير)

المرأة : العدل! العدل! وإذا ما رفضوا إيصالي إليه هنا على الأرض، لسوف أبحث عنه في السموات!

سانشو : ماذا جرى لك يا عزيزتي؟

المرأة : ياصاحب الفخامة، لقد قام هذا الحقير، إذ التقاني اليوم في الحقل، بانتزاع شرفي عنوة!

سانشو : (**لمربي الخنازير**) هيه، إنك كما أرى ...

مربي الخنازير : (**يائسا**) ياصاحب السمو! إنني، كما ترى فضيلتك، مربي خنازير...

سانشو : طيب، وماذا في أنك مربي خنازير؟ ان هذا، ياصديقي، لا يعني شيئاً... هذا... كلا...

مربي الخنازير : إنني أقول هذا، ياصاحب المعالي، لأنني التقيتها هذا اليوم في الحقل فعلاً. وقد كنت، ياصاحب المعالي، قد بعت اليوم أربعة خنازير... و... لقد حدثت المعصية فعلاً... لكن بموافقة الطرفين... حتى انني دفعت لها.

المرأة : إنه يكذب!

سانشو : حسنا، يا مربي الخنازير العزيز، هل لديك نقود تحملها؟

مربي الخنازير : أجل، ياصاحب المعالي، عشرون دوقية فضة.

سانشو : طيب، ادفع ياصديقي.

(مربي الخنازير يعطي الجزدان للمرأة)

المرأة : أطال الله في عمر محافظنا، حامي جميع المظلومين! **(تنصرف)**

سانشو : (**لمربي الخنازير**) مابالك حزين يا صديقي؟

مربى الخنازير : إن روحي تكتئب حين أفكر في نقودي الضائعة!

سانشو : إذا كانت روحك تكتئب فانتزع الجزدان منها.

(مربي الخنازير ينطلق خارجاً. تسمع صيحة، ثم تدخل المرأة مسرعة، وهي تجر مربي الخنازير وراءها)

المرأة : أيها السنيور المحافظ! لقد حاول هذا الشقي في وضح النهار، وعلى الملأ، أن ينتزع مني الجزدان الذي حكمت لي به!

سانشو : طيب، وهل انتزعه؟

المرأة : أسهل علي أن أتخلى عن حياتي على أن أتخلى عن هذه النقود، انه لن ينتزعها مني ببراثن الأسد.

مربي الخنازير : إنني أتخلى عن النقود!

سانشو : (**المرأة**) هاتي الجزدان.

المرأة : أيها السنيور المحافظ، كيف هذا؟

سانشو : هاتي الجزدان حالاً. لو أنك بنفس القوة دافعت عن شرفك كما تدافعين عن هذه النقود حتى هرقل لما استطاع انتزاعه منك. انصرفي من هنا، أيتها الكذابة البخيلة.(**لمربي الخنازير**) هاك جزدانك، فخذه.

مربي الخنازير : أشكرك أيها السنيور المحافظ، واسع الصدر!

سانشو : طيب، طيب، انصرف من هنا ولا تكن في المستقبل بمثل هذا الطيش.

مربي الخنازير : (وهو يبتعد) عاش محافظنا!

مدير القصر : الأهالي في منتهى الاغتباط بك أيها السنيور المحافظ! الأعمال أنجزت، والعشاء جاهز.

سانشو : إذن وأنا مغتبط بدوري، هاتوه إلى هنا! **(تظهر مائدة عامرة. سانشو يتربع إليها. خلف مقعد سانشو يظهر الدكتور آغويرو، ولايكاد سانشو يمد يده إلى أي صنف حتى يلامسه آغويرو بصولجانه، فيرفع في الحال)**

ما معنى هذا؟

آغويرو : أيها السنيور المحافظ، إنني طبيب وقد عينت خصيصاً لكي أكون مع حضرتك، وأراقب طعامك، بحيث لا تأكل شيئا قد يلحق الضرر بصحتك الغالية. إن هذا الصنف يضر بك.

سانشو : طيب أعطوني قطعة من الحجلة.

آغويرو : لا.. لا.. لا. يقول أبقراط، أبو الطب، ومعلم جميع الأطباء إن...

سانشو : حسناً، حسناً، مادام يقول ذلك. اعطوني إذاً قطعة من الأرنب!

آغويرو : ماذا تقول أيها السنيور المحافظ؟

سانشو : اسمح لي أن أسألك عن اسمك أيها السيد الطبيب، وأين درست؟

آغويرو : أنا الطبيب بيدرو ريسيو ده آغويرو، من مواليد قرية تقع بين كاراكوئيلا وألمداور ديل كامبو أما قبعة الطبيب فقد حصلت عليها في جامعة أسون.

سانشو : إليك ما أقول لك، يا عزيزي الطبيب بيدرو ريسيور ده آغويرو مواليد قرية ألمداور ديل كامبو! انقلع من هنا إلى جميع الشياطين أنت وقبعتك التي حصلت عليها في جامعة أسون! اغرب.

آغويرو : أيها السنيور المحافظ!

سانشو : اغرب!

(آغويرو يفر هاربا)

هاتوا لي أرنبا!

مدير القصر : سمعا وطاعة أيها السنيور المحافظ.

(سانشو يبدأ تناول الطعام. يسمع صوت الأبواق)

(يسلم رسالة إلى سانشو) رسالة لسموك من حضرة الدوق.

سانشو : من سكرتيرى هنا؟

مدير القصر : أنا، ياصاحب السمو.

سانشو : هل تجيد القراءة؟

مدير القصر : عفوا، يا صاحب السمو!

سانشو : اقرأ، ولومقاطع، سأفهم.

مدير القصر : (يقرأ) عزيزي المحافظ لقد وصلتني أنباء مفادها أن العدو ينوي الهجوم على الجزيرة التي ائتمنت عليها في إحدى الليالي القادمة. اتخذ التدابير المناسبة...

سانشو : ابعدوا الأرنب عني. لقد فقدت شهيتي. (لمدير القصر) إنني شاكر لك جدا على ما قرأت. وإنني في غاية الأسف أنهم علموك القراءة.

مدير القصر : وهناك شيء آخر أيضاً.

سانشو : هيا اقض علي حالا.

مدير القصر : (يقرأ) أضف إلى ذلك، أيها المحافظ العزيز، أن العدو سيحاول اغتيالك. كن حذراً أثناء الطعام، فقد يدسون لك السم. صديقك الدوق.

سانشو : كنت أعرف أن النهاية ستكون أفضل من البداية. ارفعوا هذه الطاولة فوراً! ارفعوا كل شيء!

(ينهض) يا إلهي، يا إلهي! دعوني أنام بهدوء، طالما لا يدعونني آكل بعد هذه الأعمال كلها.

مدير القصر : حاضر، أيها السنيور المحافظ.

(يخيم الظلام. سانشو يقاد إلى ما وراء الستارة، حيث يختفي، ترفع المائدة. الصالة تخلو. تسمع موسيقى هادئة. ومن ثم جرس إنذار، وضجة من بعيد)

سانشو : **(وقد أطل من وراء الستارة)** ما معنى هذا؟

(طلقة بعيدة)

تماما، لقد تحقق ما ورد في هذه الرسالة اللعينة!

(يختفي خلف الستارة)

مدير القصر : **(يدخل عدواً ومعه سيفه)** يا سيادة المحافظ! يا سيادة المحافظ!

سانشو : **(وقد أطل)** ماذا حدث؟ آمل أن كل شيء على ما يرام في الجزيرة!

مدير القصر : كلا، العدو أغار على الجزيرة فجأة! إلى السلاح، يا سيادة المحافظ، إلى السلاح! قف على رأس القوات، وإلا ذبحونا جميعا كما الكتاكيت!

سانشو : إلى السلاح؟ آه، لو كان سيدي هنا! ليأخذني الطاعون! **(يختفي خلف الستارة)**

مدير القصر : **(يسحب الستارة)** ما بالك تبطيء يا صاحب السمو؟

الحاشية : **(وهي تندفع تحمل المشاعل)** إلى السلاح.

مدير القصر : هاتوا التروس الكبيرة إلى هنا!

(سانشو يوضع بين ترسين هائلين بحيث يصبح شبيها بسلحفاة عملاقة)

إلى الأمام، ياسيادة المحافظ، إلى الأمام!

سانشو : أي أمام إذا كنت لا استطيع التحرك من مكاني!

مدير القصر : ليرفع المحافظ.

(يرفعون سانشو، ويخرجون به. ضجيج المعركة، بريق المشاعل، التروس تعود أدراجها ويبقى سانشو العاجز دون حراك، وقد أدخل رأسه بين التروس. من حوله وقع أقدام الحاشية المسعور، صيحات وطلقات وراء النوافذ)

مدير القصر : **(بعد أن قفز على ترس سانشو العلوي يصدر أوامره)** إلى الأمام، أيها الجزيريون، إلى الأمام. هاتوا الزيت الغالي! حسناً، اسكبوه عليهم! القوا بهم عن سلالم الهجوم! إلى الأمام! إلى الأمام! آه، لقد تقهقروا! ضمدوا الجرحى! إلى هنا! إليّ! (يرقص فوق الترس)

الحاشية : لقد تقهقر الخصم!

– هل لاذ بالفرار؟

– النصر!

– النصر!

(المعركة تهدأ)

مدير القصر : **(وقد قفز عن الترس)** النصر! فكوا المحافظ!

(يحلون وثاق سانشو، ويرفعونه)

تهانينا، يا صاحب السمو! تحت قيادتك دحر جيش الجزيريين العدو! يمكنك أن تزهو!

سانشو : اعطوني جرعة خمر.

(سانشو يعطى الخمر)

أو لا داعي على كل حال. فلعل الخمرة عندكم مسمومة أيضاً؟ لا داعي. جيئوني بحماري.

مدير القصر : حاضر، يا سيادة المحافظ.

سانشو : افتحوا الطريق، يا سادة!

(الحاشية تفتح الطريق وسانشو يختفي خلف الستارة. يقاد الحمار إلى الشرفة الواقعة خلف الصالة)

(يخرج من خلف الستارة، وقد ارتدى ثيابه العادية)

إلي، يا حماري! إلي، ياصديقي الأغبر المخلص. **(يعانق الحمار)** في وقت ما عشنا لبعضنا: أنت لي وأنا لك. ولم يكن يشغلني آنذاك سوى إشباع جسمك الصغير. وكم كانت سعيدة أعوامنا وأيامنا في البيت وفي التجوال! أما الآن، وبعد أن ارتقيت، بدافع الطموح، إلى هذا العلو، فإن ألف مشكلة وألفي مصيبة بدأت تعذب روحي وجسمي! افتحوا لي الطريق، يا سادة! أعيدوا لي حياتي السابقة! إنني عائد إلى فارسي، فأنا لم أولد لأكون محافظاً! إنني أجيد تقليم الكرمة، لكنني لا أجيد حكم الجزر. لقد اعتدت أن أمسك المنجل بيدي، وهو يعجبني أكثر من صولجان المحافظ. إنني أنام على العشب وأنا أكثر اطمئنانا مني على فراش المحافظ الوثير، وأشعر بالدفء في سترتي أكثر مما أشعر به في وشاح

المحافظ. وداعا، أيها السادة، وداعا! لكن أكدوا أمام الدوق أنني ذهبت من هنا فقيرا كما جئتكم. لم أفقد شيئا، لكنني لم أجن شيئا. انظروا، فجيوبي خاوية، لم أسرق هنا شيئا! وداعا! (**يمتطي حماره**)

مدير القصر : إننا نرجوك، يا سيادة المحافظ، أن تبقى معنا!

الحاشية : ابق معنا!

سانشو : أوه. كلا. مطلقا! ان روحي منهكة ومحطمة كما هو جسمي.

أغويرو : سأعطيك، يا سيادة المحافظ، أفضل اللزقات والأدوية!

سانشو : أوه. كلا. لن تستطيع بأية لزقات أن تستخرج مني عنادي! إنني من أسرة سانشو، وإذا ما قلت شيئا فإنني أقوله بصلابة!

مدير القصر : لقد أحببناك، أيها المحافظ، على عقلك وسرعة بديهتك. ابق معنا.

سانشو : كلا، كلا، أعطوني طريقاً.

مدير القصر : طيب، فليكن. وداعا، ياسانشو بانسا! لقد كنت الأشرف والأفضل من بين جميع المحافظين الذين حكموا هذه الجزيرة! وداعا!

سانشو : وداعا! (**يرحل**)

(نهاية الفصل الثالث)

الفصل الرابع

اللوحة الثامنة

(الشرفة والحديقة لدى الدوق. أضواء في الحديقة. صوت موسيقى. الدوق والدوقة جالسان على الشرفة)

دون كيشوت : (وراء الكواليس) أيتها الغيرة، ياملكة قاسية في بلد الحب، كبلي يدي بالسلاسل!..

الدوقة : لقد أصيب بنوبة أخرى. هل تسمع كيف يصرخ بأشعاره على وقع الموسيقى؟ إنني أرثي له. اعتقد أنه لولا هذا الجنون المشؤوم لكان واحدا من أكثر الناس ذكاء. حين يتخلص من ذلك يحاكم الأمور بشكل سليم وتصبح أفكاره مشرقة.

الدوق : أنت تخطئين، يا عزيزتي، فهو غير قابل للشفاء، ولا يبقى إلا أن نأمل في أن يكون في جنونه بعض من التسلية للناس.

(تتردد أصوات الأبواق. يدخل الخادم)

الخادم : يا صاحب السمو، لقد وصل الحصن أحد الفرسان ويرجو أن تستقبله.

الدوق : أي فارس؟

الخادم : لا أحد يعرفه، يا صاحب السمو، فهو يرتدي الدرع

والخوذة.

الدوق : آ، يا للخدم الكذابين! هذه مزحة مدير القصر بالطبع!

الخادم : كلا، ياصاحب السمو، كلا صدقا! فلا أحد يعرف هذا الرجل، وهو يرفض ذكر اسمه.

الدوق : طيب، طيب، على أية حال هذا مسل. ناده إلى هنا.

(الخادم ينصرف، صوت أبواق، يدخل سانسون مرتديا درعاً وخوذة ويحمل سيفاً وترساً على صدره صورة القمر)

سانسون : سامحني، ياصاحب السمو، لأنني جئتك في الحصن على غير ميعاد.

الدوق : إنني سعيد جدا. من أنت؟

سانسون : أنا فارس القمر الأبيض.

الدوق : آ، هذا شيء طريف **(للدوقة)** إذاً ففي الحصن الآن مجنونان. **(لسانسون)** ما هو السبب الذي قادك إلى هنا، أيها الفارس؟ على أية حال مهما كان هذا السبب فأنا سعيد برؤياك.

سانسون : اخبروني أن دون كيشوت في ضيافتك، وقد أتيت للقائه.

الدوق : نعم. إن دون كيشوت عندي، وسأجعلك تلتقي به بكل طيبة خاطر. **(الخادم)** ناد دون كيشوت إلى هنا.

الخادم : حاضر. **(ينصرف)**

الدوقة : أشعر بخوف غامض، أيها الدوق، ألا يوجد خطر ما

في هذا اللقاء؟

الدوق : لا تقلقي يا عزيزتي، أؤكد لك أن هذه نكتة رجال البلاط.

دون كيشوت : (ينشد خلف الكواليس) نعم ان موتي قريب... انني أموت. ولم أعد آمل بشيء، إنْ في الحياة، وإن في الممات!.. (**يدخل مرتدياً عدة القتال، لكن من دون خوذة.. إذ يرى سانسون**) من هذا؟ (**للدوق**) آ، ياصاحب السمو! لماذا لا تستدعي رجل الدين في قصرك إلى هنا؟ فقد قال إنه لا وجود في اسبانيا للفرسان! إذن لاقتنع الآن أن الفرسان المتجولين موجودون! فها هوذا، عداي، فارس ثان ماثل أمامك!. فارس ثان أمامك! أنت ترى النيران تسبح في درعه، وعيناه تتقدان جرأة وبسالة، إنني أراهما في شق الخوذة! والآن، لماذا ناديتني؟

سانسون : لقد جئت إليك، يادون كيشوت اللامانشي.

دون كيشوت : إنني هنا.

سانسون : دون كيشوت! اسمي فارس القمر الأبيض.

دون كيشوت : وما الذي قادك إلي؟

سانسون : لقد أتيت كي أتحداك يادون كيشوت! لسوف أجبرك على الاعتراف أن سيدة قلبي، مهما كان اسمها، أروع من دولسينيا التوبوزية! وإذا لم تعترف بذلك كان عليك أن تبارزني. سوف يهزم أحدنا ويقبل بما يملي عليه الغالب. إنني انتظر الرد.

دون كيشوت : يا فارس القمر الأبيض، انني حقاً لم أقرأ، ولم أسمع شيئا عن مآثرك كي أعجب بها، لكن عنجهيتك تدهشني. لا ريب أنه لم يسبق لك أن رأيت دولسينيا التوبوزية، وإلا لما جرؤت على أن تقول هذا عنها!

سانسون : إنني أجرؤ أن أقول عنها ما يحلو لي، طالما أنني أتحداك! جاوبني : هل تقبل التحدي أم لا؟

دون كيشوت : يكفي، يافارس القمر الأبيض، فتحديك مقبول! **(للخادم)** أعطني خوذتي وترسي! أيها الدوق، اقسم الشمس بيننا!

الدوقة : هل سيتبارزان؟ إنني خائفة!

الدوق : ماذا تقولين أيتها الدوقة، إن هذا في غاية الطرافة! هيه، هاتوا المشاعل. **(يجلبون المشاعل. الخادم يعطي دون كيشوت طاسة الحلاقة والترس)**

أين تود أن تقف، يا فارس القمر الأبيض؟

سانسون : هنا حيث أقف.

الدوق : قف هنا يادون كيشوت.

دون كيشوت : يا سيدة قلبي، ساعدي من منا على حق.

الدوق : تلاقيا.

(دون كيشوت ينقض على سانسون، ويتمكن من طعنه بالسيف، تتدلى يد سانسون اليسرى)

سانسون : آه. **(ينقض على دون كيشوت، ومن شدة الغضب يكسر سيفه، ويحطم درعه وترسه، ثم يرمي طاسة**

الحلاقة عن رأسه)

(دون كيشوت يسقط)

الدوقة : كفاية. كفاية. لقد هزم.

الدوق : توقف.

سانسون : كلا، ابتعدوا جميعا! إن بيننا حسابا.

(يضع ذؤابة السيف على حنجرة دون كيشوت)

استسلم، يافارس الهيئة الحزينة، لقد غلبتك! نفذ شروط المبارزة، وكرر ورائي : نعم. إن سيدة قلبك، يافارس القمر الأبيض، أروع من دولسينيا. كرر هذا!

دون كيشوت : أجل، إن سيدة... كلا، لا استطيع. إنني مغلوب، إنني مغلوب، إنني اعترف بهذا... لكن لا استطيع الاعتراف أن ثمة في الكون ما هو أروع من دولسينيا! كلا، ليس ثمة من هو أكثر روعة منها! لكن إليك الشيء الذي أصبح يخيفني فجأة أكثر بكثير من حد سيفك! عيناك!.. إن نظرتك باردة وقاسية، وفجأة أصبح يبدو لي أن لا وجود لدولسينيا أبداً في العالم! نعم، لا وجود لها!.. إن العرق يتصبب من جبيني حين تخطر لي هذه الفكرة!... لا وجود لها!... ومع ذلك فلن أكرر تلك الكلمات، التي تريد انتزاعها مني. لا أروع منها! على كل حال ان قلبك الحديدي لايفهم هذا. اطعني، فلا أهاب الموت.

سانسون : سوف أقتلك!

الدوق : توقف، إنني آمرك.

سانشو : (يظهر) سنيور دون كيشوت!... سنيورى العزيز... لقد جئت في الوقت المناسب... لقد هربت من الجزيرة، لم أعد محافظاً! اسمع نصيحة تابعك.. اعترف بنفسك مغلوباً! (للدوق) لا تسمح، ياصاحب السمو، بانتزاع حياة أشرف الفرسان وأكثرهم حكمة.

الدوقة : أوقفوا المبارزة. لن أسمح.

سانسون : أكرر مرة أخرى دعونا وشأننا. (لدون كيشوت) إنني أعتقك من هذه الكلمات. عش مع أحلامك عن دولسينيا، لا وجود لها في العالم وأنا راض! إن سيدة قلبي تعيش في الكون، ولهذا فهي أروع من سيدة قلبك! كرر من ورائي شيئاً آخر : إنني مستعد بطلب من فارس القمر الأبيض الذي غلبني أن انصرف إلى الأبد إلى ضيعتي في لامانشا، وألاّجترح المآثر لاحقاً، وألاّ أغادر إلى أي مكان.

دون كيشوت : ياللقلب الذي قد من الصخر!

سانسون : أقسم، فقد أوشك أن يفرغ صبري!

الدوقة : أقسم!

دون كيشوت : أقسم... أنني مغلوب.

(سانسون يرد السيف إلى غمده. يبتعد)

من معي؟.. سانشو... سانشو، ساعدني فقد انكسر عظم ترقوتي.

سانشو : ساعدوني على رفعه.

(الخدم يهرعون نحو دون كيشوت، ويرفعونه)

الدوقة : ليرسل في طلب الدكتور.

(دون كيشوت يحمل خارجاً، على الخشبة يبقى الدوق وسانسون)

الدوق : لقد تماديت في المزاح، والآن أطلب أن ترفع غطاء الخوذة وأن تذكر أسمك.

سانسون : **(وهو يرفع الغطاء)** إنني المجاز سانسون كاراسكو من لامانشا، لم يسبق لي أن كنت فارساً، ولا أتوق لأن أكونه. لقد أشفقت على الفارس المسكين ألونسو كيشانو، فأنا احترمه وأحبه، وهكذا فقد قررت وضع حد لجنونه وعذابه.

الدوق : مم... ان تصرفك نبيل، أيها المجاز، وقد دفعت – كما أرى – يدك ثمنا له، ومع ذلك فإن في هذا شرفا لك! ومع هذا لا استطيع إلا أن أعرب عن آسفي على أن مغامرات كيشانو قد انتهت. كانت ممتعة، وكان هو وتابعه يسليان الناس.

سانسون : لن نتأسى على هذا، يا صاحب السمو. فهل التسالي قليلة في هذا العالم! صيد الصقور، الرقص على ضوء المشاعل، المآدب والمبارزات... إن النبلاء لا يفتقرون إلى مثل هذا، وهل من أجل التسلية نحول إلى مهرج الإنسان الذي لا يستحق هذا أبدا، فنزيد من عدد المهرجين الطبيعيين؟

الدوق : يخيل إلي، أيها المجاز المحترم، أن كلامك لا يخلو من نفس الموعظة الأخلاقية، وهذا ما لم اعتده.

سانسون : معاذ الله، أيها الدوق! لست من قلة التهذيب بحيث أسمح لنفسي بتعليمك، اعتبر أنني أحدث نفسي.

الدوق : إذن ليكن في علمك، أيها المجاز، أن أفضل مكان لمثل هذه الخواطر هو بيتك. لو كنت أعرف نواياك إذن لما سمحت لك بدخول القصر!

سانسون : أوه، لقد حزرت ذلك، ولذا فقد دخلت القصر في إطار التسلية، رغبة مني في إرضاء سموك.

الدوق : كفاية! وداعا.

(سانسون يدير ظهره ثم ينصرف)

هي! اسمحوا لفارس القمر الأبيض بالخروج من القصر!

(أبواق)

اللوحة التاسعة

(فناء منزل دون كيشوت. الوقت غروب. الغرف خاوية وكذلك الفناء. على الهضبة، على الدرب، وراء باب السياج، يظهر دون كيشوت محدودب الظهر، ويتوكأ على عكازه، ويده مضمدة وبرفقته سانشو يقود روسينانتي والحمار. روسينانتي محمل بملابس القتال، بحيث يبدو وكأن فارسا فارغا من الداخل، بحربة مكسورة، يمتطي متن الجواد)

سانشو : ها هي ذي قريتنا، ياسنيور! آه ياللوطن المنشود! الق نظرة على ابنك سانشو بانسا، افتح له أحضانك. إنه يعود إليك غير نبيل، لكنه مشبع جدا بالتجربة التي حصل عليها بفضل القلق والمصائب من مختلف الأنواع. فقد عانى من كل شيء، بدءا من وابل الضربات التي انهالت على جسده المسكين الأعزل، ومن هزء وسخرية الناس الذين لا يفقهون معنى التابع، وانتهاء بالتشريفات التي لا مثيل لها، والتي وقعت على أم رأسه حين كان محافظا، ولكن هذه المحافظة تلاشت كما الدخان، وانتهى الألم الذي سببته الضربات، وعاد ابن الوطن إلى حيث خرج، إلى تحت ظلال هذه الأشجار، إلى البئر الحبيب.

(يربط روسينانتي والحمار)

(في هذا الوقت يقف دون كيشوت دون حراك على الهضبة فوق الفناء، ويرسل نظره إلى البعيد)

يا ابنة الأخت. سنيورا قيمة البيت. إنني أصبح دون خوف، لأنني أعرف، يا سنيورا قيمة البيت، أنك لن تنشبي في مخالبك الحادة، ولن تصبي علي جام شتائمك، التي تجعل القلب يقشعر حتى لدى أكثر الناس جرأة. لقد عدنا إلى الأبد.. اليوم هوالسبت، إنهـــا في الكنيسة... سنيـور دون كيشوت، مابالـــك لا تدخل بيتك؟ إلى أين تنظر ياسنيور؟

دون كيشوت : إلى الشمس. هاهي عين السماء، المشعل السرمدي للكون، مبدع الموسيقى وطبيب الناس! لكن النهار يميل إلى الليل، والقوة التي لا تقهر تشدها إلى الأسفل. وإن هو إلا وقت قليل حتى تذهب إلى ما تحت الأرض، وحينذاك يخيم الظلام. لكن هذه الظلمة ليست طويلة، فبعد عدة ساعـــات، ياسانشو، سينبلج النور من طرف الأرض، ومن جديد ترتفع إلى السماء المركبة التي لا يستطيع المرء النظر إليها. وقد خطر لي، ياسانشو، أن تلك المركبة، التي كنت امتطي، حين تبدأ الاختفاء تحت الأرض، لن ترتفع بعد ذلك. حين ينتهي نهاري فإن نهاراً آخر لن يكون، ياسانشو. وقد استولى علي الاكتئاب لأنني أشعر أن نهاري الوحيد ينتهي.

سانشو : لا تخفني ياسنيور! لقد تفتقت جروحك. لا يخفى على أحد أن أنين الجسم يستدعي أنين الروح. أنت مريض، يا سيدي، وأنت بحاجة للرقود في الفراش بأسرع وقت.

(دون كيشوت يدخل البوابة، يجلس على المقعد)

فلنذهب، ياسيدي، سأرقدك، وسيطعمونك، ولسوف يجلب لك النوم الشفاء.

دون كيشوت : كلا. أريد النظر إلى الأشجار... انظر فقد اصفرت الأوراق... نعم، النهار يوشك أن ينصرم، ياسانشو، هذا واضح. إنني أشعر بالخوف لأنني أشعر بالخوف لأنني استقبل غروبي، وأنا فارغ تماما، وليس ثمة ما يملأ هذا الفراغ.

سانشو : أي فراغ ياسنيور؟ لست أفهم شيئا من هذه الأفكار الحزينة والحكيمة، على الرغم من أنني شحذت عقلي بشكل لا مثيل له، في الوقت الذي كنت فيه محافظاً. هل يعقل أن فارس القمر الأبيض الملعون هذا – ليته ينشطر في أول معركة كما البطيخة التي فات أوانها – قد أفسد بسيفه ليس جسمك الخاطيء فقط، بل وروحك الخالدة أيضاً؟

دون كيشوت : آه. سانشو، سانشو! ان ما ألحقه بي فولاذه من أضرار شيء لا يذكر. كما أنه بطعنته لم يشوه لي روحي. إنني أخاف أن يكون قد شفى روحي، وإذ

شفاها أخرجها دون أن يضع بديلاً لها... لقد سلبني
أغلى موهبة يتحلى بها الإنسان.. لقد سلبني الحرية!
في العالم الكثير من الشرور، يا سانشو، لكن ليس من
شر أسوأ من الأسر! لقد قيدني ياسانشو!.. انظر
فالشمس انشطرت إلى شطرين، والأرض ترتفع أعلى
فأعلى وتلتهمها. الأرض تنقض على الأسير! لسوف
تبتلعني ياسانشو!

سانشو : آه، ياسيدي، كلما ازددت حديثا قل فهمي لما تقول.
لست أرى إلا شيئا واحدا : أنت مكتئب، ولست أدري
بماذا أساعدك؟ بماذا أفرحك؟ أين الفارس العتيد؟
طيب، لقد غلبك، ولم تعد قادرا على التجوال ولا على
امتشاق السيف. لكن تذكر، ياسيدي، أنك أردت في
أسوأ الحالات أن تكون راعياً. ولسوف أذهب معك بكل
رغبة، ياسيدي، إذا ما أهديتني زوجاً آخر من الحمير،
لأنني ألفتك جداً... ألا لا تلذ بالصمت، ياسيدي! آه ها
هو ذا القدر يأتي لنجدتي بنفسه! لسوف أرى الآن
كيف ستتقد عيناك، قف، ياسيدي، فحلمك قادم، إن
دولسينيا التوبوزية تقترب منك.

(من باب السياج، المؤدي إلى القرية،تخرج الدونسا لورينسو ومعها سلة. إذ ترى دون كيشوت تخاف)

الدونسا : آه منك، ياللمصيبة! ها هو ذا الفارس المجنون في
طريقي من جديد.

سانشو : يا أميرة الحسن، وملكة الجلالة! أمامك الفارس المغلوب دون كيشوت اللامانشي.

الدونسا : وأنت أيضا جننت، ياسانشو بانسا السمين؟ أم أنك تريد المزاح؟ إذا كان ذلك فاحتفظ بمزاحك لأحد آخر، أما أنا فافسح لي الطريق، ولا تتجاسر على مناداتي بدولسينيا. فقد كنت الدونسا. وسأظل الدونسا. كأنه لا يكفيني أن الجميع يسخرون مني بسبب سيدك، دون ألونسو التعيس! اعط هذه السلة لقيمة البيت، أما أنا فدعني أذهب.

سانشو : هل سمعت، ياسيدي، إنها مازالت مسحورة.

دون كيشوت : الدونسا؟

الدونسا : ماذا تريد ياسيدي؟

دون كيشوت : هل تخافينني؟

الدونسا : نعم أخافـــك، فأنت تتحدث بشكل غريب، ياسيدي، ولا تتعرف على أحد.

دون كيشوت : سأقول لك من تكونين. إنك ألدونسا لورينسو، فلاحة من القرية المجاورة، لم يسبق لك أن كنت دولسينيا من توبوز، أنا من لقبك بهذا، لكن في ظلمة العقل، فأرجو أن تسامحيني. والآن ألم تعودي تخافينني؟

الدونسا : كلا، لا أخاف. هل يعقل أنك تعرفت علي؟

دون كيشوت : تعرفت عليك يا الدونسا... اذهبي مطمئنة، فلن نمسك بأذى. سانشو، لا تؤخرها.

(الدونسا تركض هاربة)

سانشو : الآن، ياسيدي، أرى أن القمر الأبيض قلب كل شيء في رأسك فعلا. فليشنقوني إن كان هذا الفارس لا يتراءى لي دائما، وحين اقتربنا من القرية كان يخيل إلي أنه كان يتسلل خلفنا عبر الحقول.

دون كيشوت : لم يكن يخيل إليك، ياسانشو، فقد كان هذا فعلاً، لقد اقتفى أثرنا عبر الحقول في الواقع، وإن كان ليس فارسا، ولم يكنه أبدا. نعم إنه ليس فارسا، ومع ذلك فهو الفارس الأفضل من بين كل من صادفناهم في تطوافنا. لكنه فارس قاس.

سانشو : قسما بأولادي أن هذه الأحجية لا يفهمها حتى أفضل محافظ.

دون كيشوت : فلنذهب إلى البيت.

(يدخلان البيت، سانشو يحمل عدة القتال. في الغرفة يضعها سانشو في الزاوية، ويسحب الستارة)

سانشو : أوه، الآن أرى أنك مريض ياسيدي! استلق فوراً، بينما أطير الآن في طلب السنيور القس والحلاق، سيساعدانك. لن ألبث أن أعود ياسيدي! **(ينطلق إلى الفناء ثم ينصرف، وهو يقود حماره)**

(بعد وقت قصير تظهر أنطونيا، تدخل الفناء. وعلى الهضبة، خلف السياج على الطريق، تنتصب قامة سانسون وهو يرتدي عدة القتال. سانسون يسير على مهل، ويده، كما يد دون كيشوت في الضماد)

أنطونيا : ارحمنا، ياإلهي! من هذا الذي هنـــاك؟ خالي؟ كلا، هذا ليس هو، هل أفقدتني المصيبة عقلي بدوري؟ أليس ما أراه عند الغروب فارسا، أم أن الشمس التي تميل إلى المغيب تداعبني؟ القمر يسطع على صدره، والريش يتمايل على خوذته! أم إننا جميعا مجانين، وخالي العاقل الوحيد؟ هل يعقل أنه كان على صواب حين كان يؤكد وجود الفرسان المتجولين؟... من أنت؟

سانسون : **(وهو يدخل)** هذا أنا يا أنطونيا **(ينزع الخوذة)**

أنطونيا : سانسون!

سانسون : حاذري، يا أنطونيا، فيدي تؤلمني.

أنطونيا : أنت جريح ياسانسون؟ ماذا بك؟

سانسون : كلا، كلا **(يتخلص من عدة القتال)**. إلى الجحيم هذا الترس، الذي يحمل صورة القمر، والسيف معه.

أنطونيا : لقد قلت، ياسانسون، انك لن تعود إلا في حال... أين خالي؟ ألم يمت؟

سانسون : **(وهو يشير إلى البيت)** إنه في البيت. لقد نفذت وعدي ياأنطونيا، ولن يغادر ألونسو كيشانو موطنه الأم أبداً.

أنطونيا : في البيت؟.. في البيت؟! إذا كان هذا حقا، ياسانسون، فأنت ساحر حقيقي! ليس عبثا أنك أصبحت مجازا، وكيف لا يصبح مجازا أكثر الناس ذكاء في العالم! آه، ماهذا الذي أقول؟.. إن أفكاري تتشوش... لكن هذا بسبب الفرح، ياسانسون، كيف فعلت ذلك؟ سانسون! سانسون! تقبل سانسون...

سانسون : مالك تقبلين جبانا ومخادعاً؟

أنطونيا : لا تقل هذا، ياسانسون ! يالك من حاقد، لماذا تنتقم مني؟ لقد كنت آنذاك حزينة، فنطقت بهذا القول. كلا، كلا، فأنت، ياسانسون، أفضل صديق لنا، أنت أروع وأنبل إنسان (**تقبل سانسون ثم تفر إلى البيت**).

(الشمس غابت، الظلام يخيم)

خالي، أين أنت؟

دون كيشوت : (**خلف الستارة**) من هناك؟

أنطونيا : هذا أنا ياسنيور ألونسو، أنا أنطونيا. (**تسحب الستارة**)

دون كيشوت : أشعر بضيق في التنفس يا أنطونيا.

أنطونيا : ارقد، ارقد من جديد! يا الله!

دون كيشوت : كلا، كلا، انني أشعر بضيق في التنفس... وأنا مضطرب... الأفضل أن أجلس هنا، ونادي أحداً ما يأأنطونيا، نادي!

أنطونيا : إن المجاز سانسون هنا، فهل أناديه ياخالي؟

دون كيشوت : آه، هل جاء؟ لقد كنت بانتظاره. ناديه إلى هنا، لكن ناديه بسرعة.

أنطونيا : سانسون! سانسون!

سانسون : إنني هنا ياسنيور دون كيشوت.

دون كيشوت : لماذا تنادينني هكذا؟ فأنت تعرف جيدا أنني لست دون كيشوت اللامانشي، بل ألونسو كيشانو إياه، الملقب بالطيب، كما أنت المجاز سانسون كراسكو، لا فارس القمر الأبيض.

سانسون : هل تعرف كل شيء؟

دون كيشوت : نعم أعرف، لقد عرفت عينيك من خلال الخوذة، وصوتك الذي طلب الطاعة بكل قسوة في المبارزة حينذاك. لقد انعتق عقلي من الظلال الكئيبة. لقد حدث لي هذا، ياسانسون، حين كنت تقف فوقي في الضوء الدامي للمشاعل في القصر، وبكلمة مختصرة فإنني أراك الآن، أرى كل شيء.

سانسون : اعذرني، ياسنيور كيشانو، لأنني هاجمتك!

دون كيشوت : كلا، كلا، فأنا ممتن لك. لقد أخرجتني بطعنتك من أسر الجنون، لكنني آسف أن هذا الامتنان لا يستطيع أن يستمر طويلاً. أنطونيا، هل غابت الشمس؟ ها هي ذي...

أنطونيا : اطمئن، ياسنيور ألونسو، اطمئن! فلا أحد هنا.

دون كيشوت : كلا، كلا، لا تخففي عني، ياأنطونيا، يا ابنتي، فأنا لاأخاف. لقد شعرت بها مسبقاً وانتظرتها منذ الصباح. وها هو ذا قد أتى في طلبي، وأنا سعيد به.

سانسون : أعطه نبيذا، يا أنطونيا، نبيذا!..

دون كيشوت : أنطونيا.. تزوجي الإنسان الذي لم ينصرف لكتب الفروسية، لكن من لديه روح فارس... سانسون. إن لديك سيدة، وهذه السيدة أروع فعلا من دولسينيا... إن سيدتك حية... ناديا قيمة البيت... كلا، كلا، سانشو... ناديا إلي سانشو! سانشو!.. **(يسقط)**

(عبر الباب يندفع سانشو في البيت)

سانشو : ساعده، ياسنيور مجاز.

سانسون : أنطونيا اعطه نبيذاً، سانشو، ضوء!

(أنطونيا تركض خارجة)

سانشو : سنيور كيشانو، لا تمت! سنيور دون كيشوت هل تسمع صوتي؟ انظر إلي! هذا أنا سانشو!... لسوف نصبح راعيين، إنني موافق على مرافقتك. لماذا لا تجيبني؟

أنطونيا : **(وهي تندفع حاملة المصباح)** ما العمل ياسانسون؟ ماالعمل؟

سانشو : إنه لا يجاوبني!

سانسون : ليس بوسعي أن أفعل شيئا. فقد مات.

(النهاية)

المترجم في سطور

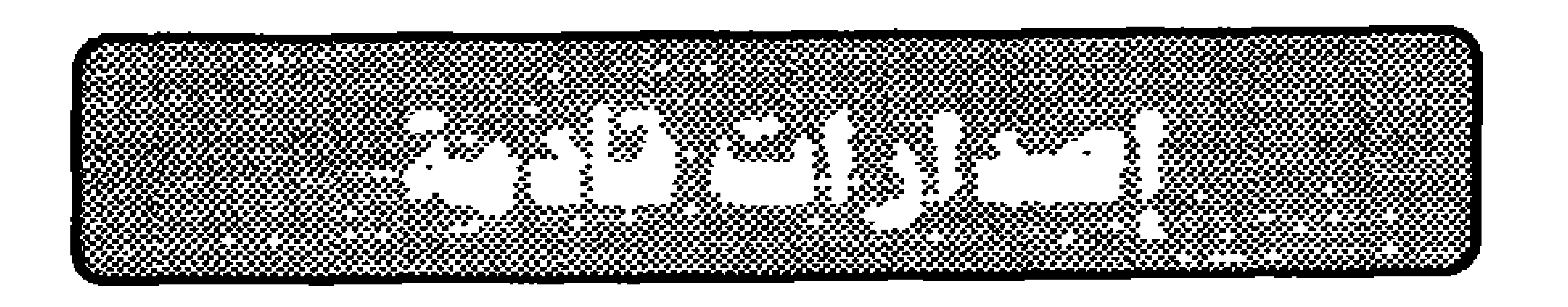
د. هاشم حمادي

- من مواليد الجمهورية العربية السورية.
- مدير معهد الإعداد الإعلامي بدمشق.
- ترجم عددا من الكتب الروسية في السياسة والأدب، بالإضافة إلى مجموعة من كتب الأطفال والنشء.
- له كتابات وترجمات في عدد من الدوريات السورية والعربية.

المراجع في سطور

د. شريف شاكر

- من مواليد الجمهورية العربية السورية.
- عمل مخرجا في فرقة المسرح القومي في دمشق.
- عمل مدرسا في المعهد العالي للفنون المسرحية في الكويت.
- له عدة دراسات وترجمات في الفن المسرحي من أهمها إعداد الممثل وإعداد الدور المسرحي، كما ترجم أعمال ميرخولد.



ملحمة علي الكشاني

تأليف : خلدون طائر

امرأة وحيدة

فروغ فرخزاد وأشعارها

تأليف : مايكل هلمان

أيام بورميه

تأليف : جورج أورويل

كشاف سنوي

للاستفسار :

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ص.ب ٢٣٩٩٦ ـ الصفاة - 13100 - دولة الكويت

تليفون ٢٤٣١٣٥٢ - فاكس ٢٤٣٢٢٣١

سلسلة إبداعات عالمية

سلسلة شهرية محكمة.. تعنى بنشر الترجمات الإبداعية الراقية من اللغات المختلفة لأهم ما يصدر من أشكال الأدب العالمي عموماً: الرواية - المجموعات والمختارات القصصية - أدب السيرة الإبداعية وأدب الرحلات الحديث العالمي - إضافة للنصوص المسرحية الرفيعة ومجموعات الشعر ومختاراته.

قواعد النشر بالسلسلة

١- أن يكون النص ذا قيمة فنية عالية، والمؤلف من كبار الكتاب، أو المتميزين على الساحة الأدبية العالمية.

٢- ألا تكون قد نشرت من قبل ترجمة للنص بالعربية.

٣- أن تكون الترجمة عن اللغة الأصلية للنص، وليس عن لغة وسيطة.

٤- تقبل النصوص المترجمة المقدمة للنشر من نسختين على الآلة الطابعة، مع نسخة من النص الأصلي. ولا ترد الأصول إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.

٥- تخضع النصوص المترجمة للتحكيم العلمي على نحو سري.

٦- تحال النصوص عند الموافقة المبدئية عليها إلى المراجعة قبل النشر. وتجرى الإشارة إلى اسم المراجع مع المترجم.

٧- يمكن للسلسلة أن تنشر مقدمة للمترجم أو للمراجع مع نص المسرحية وفق صلاحيتها الفنية.

* تقدم السلسلة مكافأة مالية عن النصوص التي تقبل للنشر، وذلك وفقاً لقواعد المكافآت الخاصة بها.

ترسل النصوص باسم :

الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص. ب. ٢٣٦٦٩ الصفاة 13100 الكويت

قسيمة اشتراك

البيان	إبداعات عالمية		مجلة الثقافة العالمية		مجلة عالم الفكر		سلسلة عالم المعرفة	
	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	دك	دولار
المؤسسات داخل الكويت	٢٠	-	١٢	-	١٢	-	٢٥	-
الأفراد داخل الكويت	١٠	-	٦	-	٦	-	١٥	-
المؤسسات في دول الخليج العربي	٢٤	-	١٦	-	١٦	-	٣٠	-
الأفراد في دول الخليج العربي	١٢	-	٨	-	٨	-	١٧	-
المؤسسات في الدول العربية الأخرى	-	٥٠	-	٣٠	-	٢٠	-	٥٠
الأفراد في الدول العربية الأخرى	-	٢٥	-	١٥	-	١٠	-	٢٥
المؤسسات خارج الوطن العربي	-	١٠٠	-	٥٠	-	٤٠	-	١٠٠
الأفراد خارج الوطن العربي	-	٥٠	-	٢٥	-	٢٠	-	٥٠

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في: تسجيل اشتراك ☐ تجديد اشتراك ☐

الاسم:
العنوان:
اسم المطبوعة: مدة الاشتراك:
المبلغ المرسل: نقداً/ شيك رقم:
التوقيع: التاريخ: / / ١٩م

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة سداد عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت.

وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص. ب: ٢٣٩٩٦ ـ الصفاة ـ الرمز البريدي 13100

دولة الكويت

طبع في مطابع دار السياسة

دون كيشوت

تقوم هذه المسرحية - كما رواية سيرفانتس - على وصف مغامرات دون كيشوت وتابعه سانشو بانسا (مبارزة طواحين الهواء، مطاردة الرهبان، المعارك مع البغالة في الطريق...) وهنا نجد أن المؤلف ينجح في توظيف الفكاهة ويقدمها في قالب مسرحي متقن للغاية، لذلك فإن شخصية سانشو بانسا تعتبر تجسيداً للبطل الشعبي البسيط الطيب القلب، وهو الأمل الباقي لشعب مغلوب على أمره في تحقيق العدالة والتخلص من ظلم الحكام.

ونشير إلى أن الفكاهة المستخدمة هنا هي فكاهة محببة وضعت في إطارها الصحيح لدرجة أن الكاتب نجح في أن يرسم لنا لوحة غنية بالتفاصيل لحياة اسبانيا في القرن السادس عشر.



سعر النسخة :

الكويت ودول الخليج	٥٠٠ فلس
الدول العربية الأخرى	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	دولاران أمريكيان